

التبشير

في منطقة الخليج العربي

دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي

تأليف

د. عبد المالك خلف التميمي

الكتاب: التبشير في منطقة الخليج العربي

الناشران: دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع

ص. ب: (4362) نيقوسيا - قبرص.

الطبعة الأولى: الكويت 1982

الطبعة الثانية: دار الشباب - قبرص - مؤسسة الكميل - الكويت 1988.

التاريخ: مايو (أيار) 1988

الرقم: 2 / 2000 / 1988 / 5 / 11 / 14

جميع الحقوق محفوظة للناشر

## تمهيد

لقد تسلسل الفكر الغربي الامبريالي إلى مجتمعنا العربي بوسائل متعددة ولفترة زمنية طويلة أي منذ أن اتجهت أنظار الدول الاستعمارية للسيطرة على وطننا العربي.

وهذا النوع من التغلغل كان سابقا على السيطرة العسكرية والسياسية ممهداً لها ثم معاضدا لوجودها واستمراره بمواكبته لها. إن الهدف الامبريالي لهذا النشاط كان ولا يزال هو ايجاد القابلية لدى الشعب العربي بقبول سياساته وترويض الناس وتدجينهم بحيث يحقق أهدافه على أرض سهلة بأقل صعوبة وتضحية وأقصر طريق. لقد كان التبشير بمعناه الشامل . ليس فقط الديني بل التبشير للثقافة الغربية الامبريالية . احدى الوسائل التي سلكها الغربيون وأقاموا لها المؤسسات التبشيرية لاغراض دينية ولكنها سرعان ما استغلت واستخدمت لاغراض سياسية.

إنه في الوقت الذي كانت فيه القوى الامبريالية الغربية تتسابق وتتنافس للسيطرة على منطقة الخليج العربي في القرن التاسع عشر كان النشاط التبشيري المسيحي يتهاى لمواكبتها والتحالف معها.

ولم تأخذ خطط الارساليات التبشيرية دور التنفيذ الفعلي في هذه المنطقة الا في نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين. لقد تركزت نشاطاتها سلميا عن طريق وسائل تقدم بها خدمات انسانية للمواطنين وتمارس من خلالها تأثيرها الثقافي، وبوجود السيطرة الغربية على هذه المنطقة كان المبشرون يشعرون بأنها المظلة الواقية والحامية لنشاطاتهم ولم يكن أوائل المبشرون يرون تناقضا بينهم وبين القوى الاستعمارية حيث كان التعاون بين الطرفين طبيعيا في أكثر الأحيان.

لقد بدأ النشاط التبشيري في المنطقة مع السيطرة الغربية فعليا وانتهى بانتهائها وإن كان له بضع التأثير المحدود بعدها، كما إن نوعية الارساليات التبشيرية هذه مذهبيا كانت بروتستنتية البريطانية والامريكية والتي تنسجم مع كون كل من بريطانيا والولايات المتحدة، دولا بروتستنتية بالدرجة الأولى.

إن الاسئلة التي ستحاول هذه الدراسة الاجابة عليها هي. كيف قامت هذه المؤسسات وما هي الوسائل التي اتبعتها ثم ما هي طبيعة النشاط السياسي للمبشرين، ولماذا فشل العمل التبشيري في هذه المنطقة؟ وليعذرنا القراء لمرورنا في الفصل الأول على قضايا تاريخية هامة مرورا سريعا فهي ليست قضيتنا الاساسية التي نعالجها ولكنها خلفية لا بد منها للتعرف على الظروف والدوافع للعمل التبشيري في هذه المنطقة.

## المحتوى

تمهيد	5
الفصل الاول: المسيحية في شبه الجزيرة العربية	9
الفصل الثاني: الارسالية الامريكية العربية	39
الفصل الثالث: الخدمات الطبية كمدخل للتبشير	75
الفصل الرابع: الخدمات التعليمية كمدخل للتبشير	155
الفصل الخامس: نشاط الارسالية التبشيري الديني	195
الفصل السادس: النشاط السياسي للارسالية الامريكية العربية	243
الفصل السابع: تقويم نشاطات الارسالية الامريكية العربية	275
الملاحق:	307

## حول البيبلوغرافيا

## المختصرات

## احصائيات مقارنة

## الفصل الأول

## المسيحية والجزيرة العربية

من المبررات التي كان يستند اليها المبشرون للتبشير في هذه المنطقة أن الجزيرة العربية كانت في يوم من الأيام قبل الإسلام متأثرة بالمسيحية ويجب اعادتها اليها، كما رأوا في مكانة المسيح في القرآن وسيلة ومدخلا لاقتناع العرب المسلمين بالمسيحية لذا من الأهمية بمكان أن نبحث إلى أي مدى تأثرت المنطقة بالمسيحية وما هي مكانة المسيح في القرآن وطبيعة المحاولات التبشيرية حتى وقتنا الحاضر.

من الامور المسلم بها تاريخيا أنه كان للمسيحية تأثير على سكان هذه المنطقة قبل ظهور الإسلام وبعده والسؤال الذي يطرح نفسه، هو كيف تم هذا الاتصال وما هي الظروف التي أحاطت به؟

القديس بولس والجزيرة العربية:

لا يزال الاتصال الأول بين المسيحية وشعب الجزيرة العربية مثاراً للجدل، والمصادر التاريخية لا تذكر عن هذا الحدث الهام سوى القليل ويذهب رايت تومس Wright Thoms إلى القول بأن المسيحية قد دخلت البلاد العربية لأول مرة

على يدي القديس بولس الذي أقام بهذه البلاد ثم عاد إلى دمشق، ويرى تومس أن المسيحية قد أحرزت تقدماً على يديه.

وبالإضافة إلى هذه فقد ورد في الانجيل أن القديس بولس نفسه كما يظهر من رسالته (للخلدونيين) Galatians ذكر بأنه قد ذهب إلى البلاد العربية وعاد بعدها إلى دمشق.

وبالرغم من زيارة القديس بولس للبلاد العربية وإشارة تومس إلى التقدم الذي أحرزته هذه الزيارة فإنه من الصعب بل يكاد يكون من المستحيل اثبات ما إذا كانت المسيحية قد دخلت الجزيرة العربية على يدي القديس بولس أم لا. فأولاً وقبل كل شيء إن المنطقة التي أشار إليها القديس بولس باسم البلاد العربية. ونقطة الخلاف هي الآتية:

ما الذي يعنيه القديس بولس بالبلاد العربية بالمعنى الجغرافي؟ ومن سوء الحظ أن المصادر المسيحية قد أخفقت في تعريف أو تحديد البلاد العربية التي قام القديس بولس بزيارتها.

والحقيقة أن الكتاب المسيحيين لم يكونوا متأكدين من ذلك وقد كانوا يخلطون بين ما كان يعرف عادة ببلاد العرب وبين شبه الجزيرة العربية بمعناها الضيق. فستورم Storm على سبيل المثال يعرف الجزيرة العربية بقوله إنها إحدى بلاد التوراة الكبرى ومن المحتمل جداً أن تكون البلاد العربية التي زارها القديس بولس هي المناطق الشمالية لشبه الجزيرة العربية الواقعة في سوريا والتي كان العرب يقطنونها.

والسؤال الثاني هو: هل أدخل القديس بولس المسيحية أو بشر بها حقاً بطريقة أو بأخرى بين العرب القاطنين في شمال الجزيرة العربية؟

والاجابة على هذا السؤال أيضاً تفتقر إلى الوضوح. ولكن جميع الدلائل تشير إلى العكس وقد انتهى رتشارد بل Richard Bell إلى أن طبيعة زيارة القديس بول ذاتها تفتقر إلى الوضوح كما أن مدتها أيضاً غير واضحة. وقد قام بل بتفسير هام فيما يتعلق بطول الزيارة حيث قال:

((إن السنوات الثلاث التي يذكرها القديس بولس لا تشير إلى مدة إقامته في البلاد العربية ولكنه تشير إلى المدة التي انقضت بين اعتناقه للمسيحية وذهابه إلى القدس بما في ذلك فترة من النشاط في دمشق)).

ومن هنا يتضح أن النتائج التي استخلصها "بل" تشير إلى أن زيارة القديس بولس لا تعتبر دليلاً على قيامه بأي نشاط تبشيري، وعلى هذا فإن الزيارة لم تكون تهدف إلى نشر المسيحية بين العرب.

ويرى "بل" أن زيارة القديس بولس كانت ترمي إلى توضيح الطبيعة المستقلة لمعتقداته الدينية وإلى تحديد سياسته المقبلة.

وليس هناك أية مؤشرات محددة تساعد على تحديد أي أثر للقديس بولس في ذلك الجزء الذي قام بزيارته من البلاد العربية.

وإذا نظرنا إلى النتيجة التي استخلصها "بل" بعين الاعتبار فإننا نستطيع على أساسها أن ننفي احتمال قيام القديس بولس بأي نشاط تبشيري.

وعلى أية حال فإن الحقيقة المؤكدة هي أن زيارة القديس بولس جاءت بعد اعتناقه للمسيحية، ولكننا لا نستطيع أن ننفي مع ذلك احتمال مشاركته في الأفكار التي يحملها عن السيد المسيح والمسيحية مع بعض أهالي ذلك الجزء من البلاد العربية، فهذا الاحتمال قوي ومقبول ويصعب انكاره. وهكذا فإننا نستطيع أن نقول إن القديس بولس لم يدخل المسيحية إلى البلاد العربية أو أنه أتى على ذكر الجزيرة العربية ولكن من المؤكد أنه قد شارك سكان تلك المنطقة من الشام بعض المبادئ الأساسية للفكر المسيحي وبهذا يكون قد هيأهم لقدم المسيحية فيما بعد.

دخول المسيحية إلى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام:

يمكن أن نعزو دخول المسيحية إلى الجزيرة العربية بعد القديس بولس وقبل الإسلام إلى مصدرين رئيسيين:

أ . المصدر الأول وهو الحركة النسطورية

التي دخلت إلى الجزيرة العربية عن طريق فارس.

ب . والمصدر الثاني أتى عن

طريق الأحباش الذين احتلوا جنوب الجزيرة العربية وحكموها قبل الإسلام.

الנסطورية:

في الواقع أن بداية القرن الرابع يعد مرحلة حاسمة في تاريخ المسيحية فقد حصلت في الكنيسة انشقاقات مذهبية أدت إلى انقسام الكنيسة إلى شطرين تزعم أولهما سيرل Cyril في الاسكندرية. وتزعم ثانيهما نسطوريوس في سوريا، وكان محور الخلاف بينهما حول طبيعة السيد المسيح والعلاقة بين الطبيعة الالهية والطبيعة الإنسانية في شخصه. وقد أكدت مدرسة سيرل الاسكندري على الطبيعة الالهية الخالصة للسيد المسيح أي وحده الطبيعة الالهية الخالصة.

والمدرسة الثانية والتي كان يتزعمها نسطوريوس الانطاكي والتي هي موضوع بحثنا فقد كانت تعتقد أن الطبيعة الالهية والطبيعة الإنسانية للسيد المسيح كانتا تتمثلان في جانبين مختلفين وقد اعترض دعاة هذه المدرسة على تسمية مريم العذراء بوالدة الاله.

وكان نسطوريوس الذي عين سنة 428 ب. م بطريركا للقسطنطينية يظهر حماسا شديدا ضد الهرطقة وكان يتحدث عن الطبيعة المزدوجة للسيد المسيح من الهية وإنسانية واتحاد هاتين الطبعتين معا.

وقد أدت هذه المعتقدات إلى نبذهم ومعاداتهم من قبل جماعة سيرل الاسكندري التي كانت تنادي بالطبيعة الالهية الخالصة للسيد المسيح ولذلك فإنهم أدينوا وحرموا من مجمع افسوس Ephesus ومجمع خلقيدونه Chalecedon في سنتي 431 و 451 ب. م.

وبالرغم من الاجراءات التي اتخذت ضده فقد استمر نسطوريوس في وعظه ونشر معتقداته التي لاقت قبولا واسعا في موطنه انطاكية och Anti وانتشرت إلى الشرق في فارس وبلاد ما بين النهرين وامتد تأثيره حتى وصل إلى الجزيرة العربية.

وقد تمسك النسطوريون بمعتقداتهم عن طبيعة السيد المسيح بشدة ويقول عزيز عطيه "لقد تحاشى النسطوريون الفيليك <sup>1</sup> Filioque في العقيدة واعتبروا فكرة انبثاق الروح القدس من الأب والابن بدعه<sup>2</sup>. ومن ناحية أخرى فإن النسطوريين بالرغم من تقديسهم للسيدة العذراء والصليب يعترضون على تسمية السيدة العذراء بوالدة الاله ويمتنعون عن اقامة الصلبان في كنائسهم.

وأراء نسطوريوس مبنية على قناعته بأن طبيعتي السيد المسيح الالهية والإنسانية يجب أن تكونا متميزتين ولكنهما متحدتين. وفي حين كان يؤمن بأن السيد المسيح قد عاش حياة انسانية حقه فان خصمه سيرل كان يعتقد بأنه ليس هناك انفصال في طبيعة المسيح الالهية والإنسانية وأن الطبيعتين كانتا متحدتين في واحدة.

وفيما يتعلق بمعتقدات النسطوريين يقول كيلي J. N. A. Kelly

"إن انسانية السيد المسيح هي Bypostasis proson

ولم يكن المقصود أن تعنى ضمنا أنها شخص متميز ولكن مجرد أنه كان انسانا حقيقيا على نحو موضوعي وتأکید نسطوريوس على الناحية الأخيرة يجب أن تعتبر فضلا له لأن دافعه إلى ذلك هو انصاف تجربة المسيح الإنسانية" ولا يقتصر الخلاف بين اتباع نسطوريوس واتباع سيرل على العقيدة فقط بل يمتد ليشمل الطقوس الدينية فقد أولى النسطوريون العبادة والطقوس الدينية أهمية كبيرة ويبدو أنهم قد طوروا طقوسهم الدينية الخاصة منذ السنوات الأولى من انفصالهم عن الكنيسة الام. والنسطوريون يلتقون للصلاة في الصباح الباكر وفي المساء. وهم لا يختلفون كثير بالعشاء الرباني والذي يعتبرونه مناسبة خاصة ليست مرتبطة بالضرورة بالطقوس الدينية لجميع أيام الآحاد.

ويرى النسطوريون أن الاعتراف ليس من الأمور الهامة ويعتبرون الخميرة المقدسة أو الخبز المقدس Holy Leonen واحدا من المقدسات السبعة<sup>3</sup>. والتي تعتبر تكملة لازمة للعشاء الأخير.

ونظرا للمصاعب التي لاقتها هذه الحركة في نشر تعاليمها في موطنها في الشام فقد اضطر اتباعها للهجرة إلى بلاد فارس والتي كانت في ذلك العصر في صراع مع الامبراطورية البيزنطية، وهكذا فقد أصبحت بلاد فارس هي الملجأ الوحيد لهم.

وقد استفادت هذه الحركة من لجوئها إلى فارس فأقامت عدداً من الكنائس واستطاع اتباعها أن يحملوا البعض من عرب الحيرة على اعتناق عقيدتهم.

<sup>1</sup>. تعني كلمة Filioque الأب معا.

<sup>2</sup>. لأنهم يعتقدون أن الروح القدس The Holy Ghost قد انبثقت عن الابن فقط.

<sup>3</sup>. والنسطوريون يؤمنون بسبعة مراسم أساسية Sacraments هي: الكهنوت التعميد، المسح بالزيت، قربان جسم ودم المسيح، الغفران، الخميرة المقدسة وعلامة الصليب.

وعلى أية حال فإن حماسهم ونجاحهم النسبي في دعوتهم أثار المخاوف في نفوس ملوك فارس الذين أصبحوا يشعرون بأنهم لا يجب أن يسمحوا لهذه الحركة الدينية أن تنتشر بين اتباعهم. وفي عهد شابور الثاني Shapore 11 سنة 379 ب. م. تعرضت الحركة النسطورية للاضطهاد مما اضطرها للهجرة مرة أخرى وكان الطريق المفتوح أمامها هو الهجرة إلى شبه الجزيرة العربية عن طريق الخليج العربي فاستقروا في بداية الأمر في عمان ثم بدأوا ينتشرون إلى الأحساء على السواحل الشرقية لشبه الجزيرة.

وهناك احتمال أن تكون هذه الحركة قد استخدمت الطرق التجارية في شمال شبه الجزيرة في هجرتها من بلاد فارس. وما أن جاء عام 325 ب. م. حتى أصبح للجزيرة العربية أساقفة في مجمع نيقيا ويقال بأن قطر قد أصبحت أسقفية سنة 225 ب. م.

ولم يعترض أحد من سكان الجزيرة العربية على هجرتهم ومع مرور الأيام اعتنق الديانة المسيحية عدد قليل من سكان المنطقة. وكان الساحل الشرقي للجزيرة العربية ملجأ ممتازا لهم لعدم وجود حركة دينية منافئة لهم في ذلك الحين. وقد ازدهرت الحركة النسطورية في شرقي الجزيرة العربية واستطاعت الوصول عبر الطرق التجارية التقليدية باتجاه الشمال الغربي حتى المدينة دون أن يكون لها تأثير من الجزيرة العربية فإن حركتهم لم يكتب لها البقاء طويلا بسبب

التطورات الهامة غير المتوقعة التي حدثت في المنطقة وأدت إلى توقف حركتهم: اولهما دخول الاحباش الذين كانوا ينتمون إلى مدرسة سيرل Cyrul والثاني ظهور الإسلام.

وسوف نعرض لهذين التطورين الهامين باعتبارهما أهم العوامل تأثيرا على المسيحية في الجزيرة العربية.  
ب: الأحباش:

تقع الحبشة (أثيوبيا) عبر الزاوية الجنوبية للبحر الأحمر في الجهة المقابلة لشبه الجزيرة العربية، وكان لها علاقات تجارية وسياسية وثيقة مع شبه الجزيرة العربية وبخاصة جنوب شبه الجزيرة وكانت الحبشة أحد معاقل المسيحية منذ السنوات الأولى لانتشار الدين المسيحي.<sup>1</sup>

لقد دخلت المسيحية إلى جنوب الجزيرة العربية عن طريق الحبشة ويمكن أن نرجع الاتصال الأول لجنوب الجزيرة بالديانة المسيحية إلى 356 ب. م. عندما أرسل الامبراطور الروماني قسطنطين أول وفد إلى المنطقة وبدأت المسيحية نتيجة لذلك بالانتشار وقيمت ثلاث كنائس من خزينة ملوك حمير في اليمن.

وعلى أية حال يمكننا أن نعزو القوة التي وصلت إليها المسيحية في جنوب الجزيرة بدرجة كبيرة إلى الصراع بين الامبراطورية الرومانية والامبراطورية الفارسية. حيث كانت الامبراطورية الرومانية تسعى دوماً لأن تفرض سلطتها السياسية وسيطرتها على المراكز الاستراتيجية الحساسة بالسيطرة على الحبشة وكذلك على جنوب الجزيرة العربية،

<sup>1</sup> دخلت المسيحية إلى الحبشة عن طريق مصر، وقد كان هنالك في الأساس اعداد كبيرة من اليهود في الاسكندرية وفي وادي النيل، وقد وصل المسيحيون إلى تلك البقاع منذ بدأوا بالتبشير بين اليهود. ومن هناك انتشرت المسيحية إلى أفريقيا بشكل خاص عن طريق نهر النيل حيث انتقلوا من مصر العليا إلى النوبة ثم إلى الحبشة وقد اعتنق المسيحية عدد كبير من اليهود القاطنين في تلك المناطق.

ولهذا فإن المسيحية انتشرت في المنطقة لكونها الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية، وتمكن مسيحيو الحبشة من تأسيس سلطتهم على جانبي النهاية الجنوبية للبحر الأحمر.

وبحلول القرن الرابع لم يكن للمسيحية تأثير يذكر في الجزء الشرقي من الجزيرة العربية وكانت تتركز في الجزء الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة الواقع تحت سيطرة الاحباش حيث استخدموا القوة لأخضاع اليمن.

ويمكن أن نستنتج من هذا أن المسيحية قد ازدهرت في المنطقة منذ القرن الميلادي الرابع وبدأت تتوسع في الانتشار. وإلى جانب المسيحية كانت هناك ديانتان لهما تأثير هام رغم اقتصارهما على مناطق محددة وهما اليهودية في المدينة وخيبر وبعض المناطق في اليمن والوثنية في معظم أجزاء الجزيرة الشمالية والوسطى.

والواقع إن الحكم المسيحي لم يكن مستقرا في اليمن وكانت تتخلله الثورات وعلى الأخص في النصف الأول من القرن السادس. وقد أقام ابرهه وهو أحد الحكام الاحباش كنيسة في عاصمته صنعاء، وأراد أن يحج إليها أهالي الجزيرة، بدلا من الكعبة في مكة فجمع جيشا عظيما وسار به إلى مكة لهدم الكعبة ولارغام القبائل التي تعيش في الشمال على اعتناق المسيحية، ولكن الحملة منيت بالفشل وقد اشتهرت هذه الحملة وجاء ذكرها في القرآن الكريم. وكانت حملة ابرهه محاولة لارغام شمال شبه الجزيرة العربية على اعتناق المسيحية بالقوة، ولكن الحملة لم تفلح في تحقيق هدفها ولم يكن للمسيحية في الشمال وجود يذكر، وهي حقيقة يثبتها الوضع الديني الحالي في المنطقة حيث عجزت المسيحية في تثبيت جذورها وقد أكد ريتشارد بل ذلك:

"إننا لا نملك دليلا قويا على وجود أي مركز

للمسيحية في الحجاز أو المناطق المجاورة لمكة

أو حتى المدينة".

وبالإضافة إلى ذلك فإن الأدب وهو في غالبية من الشعر في ذلك الجزء من الجزيرة العربية لم يذكر الكثير عن وجود المسيحية. أما عيسى فهو الاسم الشائع في الإسلام وقد ورد كثيرا في القرآن الكريم والاسم مشتق من الكلمة السريانية "يشو" والمشتقة بدورها من الكلمة العبرانية "يشوعا"

ويعتقد الباحثون المسلمون أن هذا الاسم ربما يكون قد انتقل إلى الجزيرة العربية عن طريق المسيحيين النسطوريين الذين وصلوا الجزيرة كما سبق أن أوضحنا ذلك.

وعندما ترد كلمة "عيسى" في القرآن تسبقها دوماً كلمة نبي وكثيرا ما يلحقها عبارة "ابن مريم" ومن المحتمل أيضاً أن يكون المقصود بإضافة عبارة "ابن مريم" الإشارة إلى أنه كان انسانا كغيره من انبياء الله أو لمجرد الإشارة إلى إنسانيته.

أما في المسيحية فإن استخدام العبارة "ابن مريم" نادرة جدا ولكنها مذكورة في العهد الجديد مرقس 3/6

"اليس هذا هو ابن النجار؟ اليس

هو"ابن مريم"؟



إن عبارة "ابن مريم" وردت مرة واحدة في الانجيل ويظهر أنها لم تكن تستخدم في الكنيسة القديمة، ولا وجد لهذا اللقب في الكتابات المسيحية.

### 3. معجزات المسيح:

إن المعجزة الكبرى المميزة لعيسى هي "شفاء المرضى" وقد أكد عليها القرآن الكريم في السورتين 3/ 49 و 5/ 110. وما من شك أن هذه المعجزات كانت تعتبر علامة من علامات النبوة.

الانجيل أيضاً يولي هذه الناحية اهتماماً كبيراً (انظر انجيل متى 9/ 12 حتى 11/ 5) والسؤال الهام الذي كثر حوله الجدل والخلاف هو ما إذا كانت معجزات الشفاء ذات طبيعة مادية خالصة أم طبيعة روحية. وأهمية هذه المعجزات كانت اقناع من كانوا يشكون في رسالة المسيح واقتران هذه المعجزات هو دوماً بشفقته على المحتاجين.

والحق أن ما من أحد من الانبياء الآخرين قد أتى بمثل هذه المعجزات من مولده حتى مماته، وما من شك أن الظروف الدينية المعاصرة له وغيرها كانت تطلب هذا الدور وهذه المكانة المنفردة.

### . موت المسيح:

إن موت المسيح هو أخطر وأعقد المشكلات حيث ثار حولها الجدل بين المسلمين والمسيحيين على طول الزمان. ويعتقد المسيحيون أن عيسى قد صلب ولكن المسلمين يخالفونهم الرأي ويؤمنون بأن تدخل الله قد حال دون ذلك، وأول ذكر لموته في القرآن يظهر في سورة

13/ 19 وسورة النساء الآية 156 والآية الأخيرة هي أهم هذه الآيات وتفسر ما حدث من وجهة نظر الإسلام.

"وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم"

والمشكلة الكبرى هي الطريقة التي مات فيها وهل الموت موتاً مادياً حقيقياً أم لا؟ هل حقاً أنه مات صلباً؟ وهل رافق موته أي عذاب؟

والانجيل الأربعة تجمع على أن المسيح مات فعلاً على الصليب والدين المسيحي قائم على تضحية المسيح تكفيراً لذنوب بني الإنسان. والقرآن ينفي هذا الرأي ويقول بأن اليهود يعتقدون بأنهم قد صلبوا المسيح ولم يقتلوه حقاً وعبارة "شبه لهم" تستخدم لوصف ما حدث.

وهكذا فبالرغم من أن المسيح قد حكم عليه بالموت ودبر اليهود موته على الصليب إلا أن الله تعالى أحبط خطتهم وانقذه من بين أيديهم بأن يكون البيت التالي من الأمثلة النادرة التي تشير إلى وجود المسيحية والذي يذكره ريتشارد بل بقوله:

"وكأس كعين الديك باكرت حدها بفتيان صدق والنواقيس تضرب".

ولذا يمكن القول بأن التأثير المسيحي في شمال الجزيرة العربية يكاد يكون معدوماً وفي النصف الأول من القرن السابع ظهر الإسلام في مكة والمدينة وكان هو الدين الذي أدى إلى تغيير الصورة الدينية في شبه الجزيرة العربية.

المسيح والإسلام:

إن الإسلام و الدين الوحيد فيما عدا المسيحية الذي أعطى المسيح مكانة ذات أهمية كبيرة. فالقرآن يعترف بأنه نبي من أنبياء الله والقرآن يمجده ويحوي العديد من السور التي تتحدث عن قصة حياته ورسالته. وقد كان المسلمون دوماً يكرمون عيسى ويضيفون عبارة "عليه السلام" كلما ذكر اسمه وقد وردت هذه العبارة في القرآن: "والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا". إن موقف الإسلام من المسيح والمسيحية يقوم على ذكر القرآن عن مولده، واسمائه، ومعجزاته، ورسالته وموته وفيما يلي محاولة موجزة لتوضيح مكانة المسيح في القرآن لنعرف إلى أي مدى ساعدت المبشرين في نشر المسيحية بين المسلمين.

#### 1. مولده

نظرا لأن مولد المسيح لم يكن مولداً طبيعياً كسائر بني الإنسان فإن هذا الموضوع كان ولا يزال مثارا للجدل والنزاع. وردت قصة مولده بالتفصيل مرتين في القرآن: "اذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم". وقد أوضح القرآن الكريم إن الله تعالى أراد أن يكون مولد عيسى معجزة ليكون دليلاً على قدرته على السيطرة على أي شيء يحدث في الحياة الواقعية. وقد اكتمل هذا الدليل بمعجزة المسيح عندما كلم الناس وهو لا يزال طفلاً في المهد:

"ويكلم الناس في المهد".

#### 2. أسماؤه

وللمسيح ثلاثة أسماء رئيسية في القرآن: المسيح وعيسى وابن مريم. وهنالك تفسيرات عديدة لسبب تسميته بالمسيح فالبعض كانوا يعتقدون أن اسمه مشتق من العبرية ويعني "المبارك" في حين يعتقد آخرون أن اسمه والذي يطلق عادة على من كان كثير الترحال أطلق على السيد المسيح لكثرة ما كان يقوم به من أسفار إلى الشرق.

والتفسير الآخر لاسم المسيح هو "خادم الله" وكلمة "مسيح" في العربية الدارجة معناها "السيد" وتستخدم دلالة على التعظيم. وكلمة مسيح أيضاً من المسح بالزيت والتي هي أحد المراسم الدينية للمسيحية.

ويقول كوبيت دون Cuppit Don

"إن عيسى والمسيح هما اسمان لشيء واحد وهو الأساس الذي تقوم عليه الكنيسة. وهذه التفسيرات المختلفة لكلمة مسيح كلها تدل على التمجيد سواء في المسيحية أو الإسلام. وقد ورد هذا الاسم عدة مرات في القرآن.

رفعه إلى السماء لهذا فإن موته كان معجزة كمولده. وموت المسيح هو أحد أهم موضوعات الخلاف بين المسيحية والإسلام وهذا الخلاف هو من الصعوبات التي تقف عقبة أمام أية محاولة للحوار بين أهل الديانتين.

## 5. الثالث المقدس:

ينكر القرآن تعاليم المسيحية بشأن الثالث المقدس. فالقول بأن الله حل في المسيح أمر يرفضه الإسلام والقرآن يوضح ذلك بجلاء عندما يقول:

"لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد)).

وهذا الرأي لا يقتصر على المسلمين، إذ في الواقع أن بعض المسيحيين يؤمنون بذلك وقد كان موضوعا للخلاف والجدل منذ القرن الرابع عندما أصبح رأي النسطوريين في إنسانية المسيح مسموعا. ويؤكد القرآن على أن المسيح ليس سوى رسول من عند الله.

واعتقاد المسيحية الرسمي هو أن هناك ثلاثة أقانيم في إله واحد وهي الاب والابن والروح القدس. ويقول كينيث كراد في شرحه للعقيدة المسيحية للمسلمين.

"على المسيحيين أن يبدأوا من منطلق

أن المسلمين لا يعتقدون أن الثالث

المسيحي طعن في وحدانية الله بل

شكل من أشكال التعبير عن هذه الوجدانية.

ولا يمكننا أن نبدأ بالتبشير إلا بالاتفاق

على أننا وإياهم نحمل إيماننا لا يتزعزع

بأن الله واحد".

الآن وقد علمنا المكانة السامية التي للمسيح في القرآن والسؤال هو:

إلى أي مدى تمكن العاملون في مجال التبشير المسيحي الاستفادة من هذه المكانة في التبشير بين المسلمين؟

إن المسلمين يعتقدون أن المسيحية هي أقرب الديانات إلى الإسلام، ومع وجود نقاط للخلاف بين الديانتين إلا أن هناك أيضاً نقاطاً للالتقاء والمكانة الرفيعة التي يتمتع بها المسيح في القرآن فتحت الطريق أمام المبشرين واعطتهم المفتاح الذي يمهّد طريق الحوار بينهم وبين المسلمين.

والمبشرون عادة يبدأون الحوار بالاستشهاد ببعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن المسيح ثم يوجهون الحوار بالتدريج إلى المفاهيم والمعتقدات المسيحية. وحتى الآيات التي كانت ترفض المعتقدات المسيحية كانت تفسر بطريقة مغايرة لموقف الإسلام من هذه القضايا. لقد كان المبشرون يلجأون لامثال هذه الطرق عندما تعترضهم صعوبات تتعلق بالتوفيق بين المعتقدات الإسلامية والمسيحية حول دور السيد المسيح. ومثال على ذلك رفض الإسلام للاعتقاد القائل بأن المسيح ابن الله والذي كان المبشرون يفسرونه بقولهم إن المسيح هو ابن الله روحيا وليس ماديا. اما يتعلق بموت المسيح فقد كانوا يقللون من شأن هذا الخلاف بقولهم إنه مجرد اختلاف في التفسير وهو أمر يحدث في كل مجتمع ولكن المهم هو أن الديانتين متفقتان على أنه قد رفع الى السماء .

هذه فكرة موجزة لمكانة المسيح في الإسلام ولو هي قضية عقائدية لا تبدو متصلة عضويا بالموضوع ولكن فقط لمعرفة الكيفية التي استخدم المبشرون هذه المكانة في نشاطهم بين المسلمين.

6. الأوضاع السياسية:

كانت الأوضاع السياسية في الجزيرة العربية في بداية الإسلام غير مستقرة ولم يكن هناك سلطة مركزية قوية. والسلطان اللتان كانتا تتمتعان بتأثير يذكر هما الامبراطورية البيزنطية في الشمال (سوريا) والامبراطورية الفارسية في الشرق وكان نفوذ الامبراطوريتين ضعيف جدا في شبه الجزيرة العربية أضف إلى ذلك أن الخلافات المستمرة بين الامبراطوريتين قد أنهكت قواهما وجعلتهما عاجزتين عن مواجهة قوة محاربة فتية كالمسلمين.

وكانت القبائل هي مراكز القوة الرئيسية في الجزيرة، والتركيب السياسي الوحيد في الجزيرة هو النظام القبلي. وكانت الجزيرة مقسمة إلى مناطق صغيرة خاضعة للنفوذ القبلي لكل واحدة من هذه المناطق شخصية سياسية متميزة ولهذا فقد كانت الحروب مستمرة بين القبائل. فالجزيرة العربية اذن لم تعرف حكومة محلية قوية في كل تاريخها باستثناء اليمن. وكانت هذه الأوضاع السياسية وخلو الجزيرة من حكومة قوية مناخا مثاليا لتوسع حركة نشطة كالإسلام. ولم يجد جيش الإسلام الطموح مقاومة تذكر، وفي كثير من المناطق قوبلت الجيوش الإسلامية وقوادها بالترحيب، حيث كانت هذه المناطق تعيش أوضاعا سيئة.

ومنذ بداية التوسع الإسلامي الذي لم يقتصر على الجزيرة العربية بل شمل بلادا أخرى أيضا، فقدت المسيحية حقا كل نفوذ لها في الشرق ولم تقم لها قائمة بعد ذلك. ولكن هذا لا يعني أن المسيحية قد استسلمت ولم تحاول استرجاع نفوذها، فقد كانت هناك محاولات وبعض هذه المحاولات كادت أن تنجح ومن الأمثلة الواضحة على ذلك الحروب الصليبية التي بدأت سنة 1096 ب. م. عند توقف الزحف الإسلامي الذي اعترضته فترة من الأزمات في أواخر عهد الخلفاء العباسيين.

الحروب الصليبية:

كتب بعض الكتاب المسيحيين عن الحروب الصليبية أو عن الإسلام معتبرين الفتوح الإسلامية غزوا دينيا لا يختلف عن الغزو الصليبي.

ومن هؤلاء الكتاب أشخاص بارزين مثل ولسون كاش Cash Wilson الذي كان سكرتيرا لـ C.M.S. وزويمر S.M.Zwemer أحد زعماء الارسالية العربية ودنكان ب. ماكدونالد Duncan B.Macdonald وبالمقابل فان بعض الكتاب العرب بنوا مواقفهم من المسيحية والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين على ردود فعلهم تجاه الحروب الصليبية.

وكان للحروب الصليبية بواعث دينية وسياسية واقتصادية، وكانت البواعث السياسية والاقتصادية مرتبطة بمصالح المدينتين التجاريتين الايطاليتين البندقية وجنوا. وكانت المدينتان واقعتين في شمال ايطاليا وكانتا تطمعان باقامة مراكز لهما في شرق البحر الأبيض المتوسط لخدمة مصالحهما التجارية، ولذلك فقد كانت لديهما رغبة كبيرة بتوجيه

الحملات الصليبية إلى تلك الجهات، في حين أن النورمان في جنوب إيطاليا كانوا يقدمون العون للحملات الصليبية لأنهم كانوا يتطلعون إلى مغامرات جديدة وإلى احتلال بلاد جديدة.

وادعى بعض الكتاب المسيحيين أن السبب الرئيسي لهذه الحروب هو الغزو السلجوقي الذي أدى إلى احتلال القدس في 1076 والصعوبات التي يلقاها الحجاج المسيحيون للأماكن المقدسة على أيدي هؤلاء الغزاة، حيث استمر الامبراطور الكسيوس كومينيوس بالالاح طيلة خمس سنوات على البابا وعلى ملوك أوروبا الغربية لمساعدته ضد المسلمين. واتفاق السلطتين الدينية والزمنية على هذه الحروب يدل بوضوح على أن البواعث من ورائها لم تكن دينية محضة وقد ظهر هذا بجلاء عندما قام الصليبيون بتأسيس ممالك لهم في الشرق أثناء محاولاتهم لاسترجاع القدس. تلقى البابا اربان الثاني الرسالة من الامبراطور البيزنطي بحماسة شديدة فقد كان يريد استرجاع المدينة المقدسة القدس من أيدي "الكفار" ويجعل المدينة آمنة للحجاج المسيحيين وكان يريد أيضاً أن يضع حدا للنزاعات التي تنشأ بين المسيحيين في الغرب.

وكان هذا الدافع في نظر المسيحيين الأوروبيين هو الدافع الأساسي للحروب الصليبية والسؤال المهم هو من هم ضحايا الحرب في كلا الجانبين؟ ففي الغرب كان الفقراء هم الذي يدفعون للاشتراك في هذه الحروب وقد التحقوا بالجيش لأن البابا أعلن في مجمع كليرمونت في سنة 1095.

"... ستغفر ذنوب كل من يموت في الحرب، أو في طريق الرحلة".

وكان ضحايا الحرب في الجانب الآخر أيضاً من الفقراء. وبما أن أهداف الحملات لم تكن دينية فحسب فإن بعض المشتركين فيها كانوا يسعون وراء المكاسب الفردية. وكانوا يظنون أن هذه الحروب ستحقق لهم ما عجزوا عن تحقيقه في بلادهم من الطموحات. وما من شك أن الحصول على المغانم كان من الحوافز الأساسية للكثير من الصليبيين.

وما قام به الصليبيون عند وصولهم إلى الشرق كان بعيداً كل البعد عن المثل المسيحية. وقد كتبت آن ويليامز Ann Williams تقول إن الصليبيين عند احتلالهم انطاكية ذبحوا السكان وأضافوا إن هذه المذبحة قد أثارت اشمئزاز المسيحيين في أوروبا.

ولتبرير ما حدث في الحروب الصليبية دأبت الكنسية على القول بأنه لم يكن هناك بديل عن حج مسلح وهو تفسير كان يلقى الكثير من القبول لدى الناس أبان الحروب الصليبية، فهذا الجيش لم يكن ذاهباً للاعتداء وإنما للدفاع عن النفس.

والواقع إن هذا كان بعيداً عن الواقع لأن الهدف منها كان محاربة المسلمين واسترجاع الأراضي المقدسة.

وقد لخص الأستاذ H. E. Mayer أهداف الصليبيين كما يلي:

"حب المغامرة، شهوة الحصول على المغانم. وهذه من الصفات التي كانت تميز الأفراد المشتركين في هذه الحروب".

كان مسيحيو القرن الحادي عشر ينظرون إلى الحروب الصليبية على أنها حروب مقدسة معتقدين أن الإيمان يجب أن يعتمد على القوة لحمايته، وقد بقي المسيحيون يؤمنون بذلك عبر القرون حتى القرن التاسع عشر. وكانوا يعتبرون المسلمين كفارا، وهذا الموقف ولد الحقد وسوء التفاهم وفقدان الثقة بين الفريقين. ويمكن القول إن أي موقف عدائي اتخذته المبشرون في القرن التاسع عشر سواء على نحو مباشر أو غير مباشر كان ينبعث من نفس الموقف الذي كان يتخذه الصليبيون.

لقد كان مبشرو القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين يعتمدون على القوى الامبريالية لحماية نشاطهم خارج البلاد المسيحية ومساعدتهم على تحقيق أهدافهم لأنهم كانوا يعتقدون أن القوة السياسية والعسكرية ضرورية لمساندة نشاطهم ولهذا السبب تورط بعضهم في القضايا السياسية، ومع انه كانوا يعرفون أن الأهداف الحقيقية لهذه القوى الاستعمارية هي اقتصادية وسياسية الا أنهم كانوا يعتقدون أن من البديهي أن تعمل الدول المسيحية على

مساعدته وهذا هو ما حدث فعلا كما سيتضح لنا ذلك في فصل قادم.

#### العصر الحديث

ومهما يكن من أمر فان المحاولات لا دخال المسيحية إلى شبه الجزيرة العربية لم تنقطع. وأهم هذه المحاولات هو الاتجاه التبشيري مع أن الأعمال التبشيرية لنشر الكتاب المقدس كانت دوما موجودة بصورة أو بأخرى. إن العمل التبشيري بأحدث أشكاله هو شكل متأخر من أشكال النشاط المسيحي والذي بدأ في القرن الثامن عشر عندما أصبح مؤسسة تبشيرية تنظمها وتدعمها الهيئات الدينية العالمية.

وبالتأكيد فان الاتجاه التبشيري هو تطور حديث، وقد استطاع أن يدخل أو يعيد المسيحية إلى عدد كبير من البلاد الجديدة وبخاصة في افريقيا وأمريكا الجنوبية والهند.

إن تطور هذه المؤسسات التبشيرية وتأثيرها الواسع على الموقف الديني هو أمر بالغ الأثر، والأسباب التي دعت إلى قيام هذه المؤسسات ومهدت لها كثيرة. والعوامل الثلاثة الرئيسية التي تضافرت بشكل مباشر أو غير مباشر في قيام العمل التبشيري هي: عصر النهضة وحركة الإصلاح والتوسع الأوروبي.

وهذه الحركات تمثل ثلاثاً من التطورات الكبرى في الغرب في القرون القليلة الماضية، وكان لها تأثير كبير في تكوين المجتمع العالمي الحالي، ولكن عصر النهضة وحركة الإصلاح لا تدخلان في نطاق بحثنا هذا.

وكان للانقسام الذي وقع في الكنيسة والجهود التي قام بها الكاثوليكيون وخصوصهم الجدد من البروتستانتين لنشر أفكارهم وتقوية كنائسهم أثر كبير في جميع الاتجاهات الدينية بما في ذلك العمل التبشيري أثناء حركة الإصلاح وبعدها كان تحولا رئيسيا بعيد الأثر وكان لكل من الكنيستين موقف خاص في معالجة الأعمال التبشيرية. والحقيقة المؤكدة هي أن أساليب التبشير منذ حركة الإصلاح قد تحولت من الاعتماد بشكل رئيسي على الاتصال الشخصي إلى التأكيد على الخدمات الإنسانية. ولم يكن هناك تنسيق أو تكامل في العلاقات بين الكنيستين، وأحيانا كانت كل

من الكنيستين تعمل على تحويل اتباع الكنيسة الأخرى إلى معتقداتها. ويقول جورج انطونيوس إن الارسالية البروتستانتية في سوريا نجحت في تحويل عدد من اتباع الكنيسة الكاثوليكية مما أدى إلى قيام التنافس بين البروتستانتين والكاثوليكين هناك.

الاختلاف في العلم التبشيري بين الكاثوليك والبروتستانت:

أ . اتساع العمل التبشيري:

كان المبشرون البروتستانت أكثر نشاطا في مواقفهم التبشيرية ويستخدمون مناهج متنوعة في أعمالهم. وقد شجعهم بالإضافة إلى ذلك نشر الانجيل عن طريق جمعيات الانجيل والمكتبات وغيرها من أماكن التوزيع والراديو، كما وسعوا استخدام دورات المراسلة لتعليم الانجيل.

ومن المؤكد أن الكنيسة الكاثوليكية قد تعلمت بعض هذه الأساليب الجديدة منذ حركة الإصلاح واستخدمتها في أعمالها التبشيرية، ولكن ليس بنفس الدرجة التي استخدمها بها البروتستانت. والكاثوليك يميلون إلى الأساليب التقليدية كما أن الهيكل التنظيمي للكنيستين يختلف في بعض الجوانب اختلافاً كبيراً. فالكنيسة الكاثوليكية في أعمالها التبشيرية تعمل ضمن هيكل تنظيمي واسع ومعقد يتطلب ضبطاً وفي بعض الأحيان فرضاً لأنواع معينة من السلوك والمسؤوليات والواجبات على أفرادها، وهذه القيود تحرم المبشرين الكاثوليك من قدر كبير من المرونة التي يتمتع بها المبشرون البروتستانت كما أن عدد أفراد الكنيسة البروتستانتية كبير جداً ويتمتع هؤلاء الأفراد بقدر كبير

من اللامركزية كما يؤكد القس يونج Rev. Young

"عندما يفقد أحد أجزاء الكنيسة حيويته يقام جزء آخر مفعم بالحيوية في مكان آخر".

ب . الاتجاهات المنظمة والفردية:

كانت الكنيسة الكاثوليكية بتنظيمها التقليدي المعقد تركز على الكنيسة وانتشارها، وإقامة الكنيسة في كل مكان تذهب إليه، فوجود الكنيسة الكاثوليكية وتأسيسها في نظر المبشر الكاثوليكي أهم من نشر الانجيل. أما البروتستانت فقد أكدوا على الانجيل ونشره. وبمعنى آخر فإن البروتستانت يكافحون بعناد في سبيل تحقيق هدف معين وهو تحويل أكبر عدد من الناس إلى اعتناق المسيحية مستخدمين أنسب الطرق لتحقيق هذا الهدف. ومن هذا نرى أن الاختلاف الرئيسي بين الكنيستين هو مسألة الكمية والكيفية، ففي حين أكد الكاثوليك على أهمية ادخال الكنيسة الكاثوليكية بهيئاتها وتنظيماتها في المناطق التي يعملون بها وهو أمر يستغرق زمناً طويلاً، فإن البروتستانت يفضلون أن يقوموا بتغطية أكبر قدر ممكن من المساحة وينتقلون إلى بلاد أكثر ، وهكذا نجد أن توزعهم أقل كثافة من الكاثوليك ولهم وجود في عدد أكبر من البلاد ومؤسسات تبشيرية أكثر.

التوسع الأوربي والتبشير

إن التطور الحديث في العمل التبشيري يدين بالفضل إلى عصر النهضة وعصر الإصلاح الديني سواء على نحو مباشر أو غير مباشر فقد هيا الاثنان الجو الصالح لتحديث العمل التبشيري وعلى أية حال فهناك عامل ثالث كان له

دور هام في الوصول بالعمل التبشيري إلى ما هو عليه اليوم ألا وهو التوسع الأوربي. وإذا كانت حركة الإصلاح تعتبر العامل الرئيسي في تنشيط العمل التبشيري فإن التوسع الأوربي يجب أن يعتبر العامل الذي أكسب العمل التبشيري طابعاً عالمياً. فحركة الإصلاح عالجت المحتوى الديني للعمل التبشيري في حين حمل التوسع الأوربي الرسالة إلى العالم. وفي الواقع أن الحاجة إلى اكتشاف ما كان يعرف يومئذ بالعالم المجهول للحصول على المواد الخام هي التي دفعت إلى التوسع الغربي وأدت إلى التعجيل به.

وفي نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر فتح عصر الاكتشافات الجغرافية العالم على مصراعية أمام الأوربيين وكان الهدف من وراء هذه الاكتشافات الرغبة في العثور على طرق بحرية جديدة أقل كلفة لنقل منتجات الشرق إلى الغرب وقد جرى البحث في اتجاهين: الطريق الشرقي عبر أفريقيا والطريق الغربي عبر المحيط الأطلسي. وكانت نتائج هذه الرحلات هي اكتشاف أمريكا ثم تلا ذلك التوسع في الشرق وأمريكا. ولم يكن التوسع الغربي مجرد توسع للقوى أو النفوذ إذ إن أهم ما نتج عنه هو إنشاء الثقافة الغربية، والتوسع الغربي الذي كان من أهم الأحداث في تاريخنا الحديث والمعاصر وأبعدها أثراً لا يدخل أيضاً في نطاق هذه الدراسة ولكنه مع ذلك يتصل بها إتصلاً مباشراً، ولهذا فسنركز عليه نظراً للدور الهام الذي لعبه في العمل التبشيري إذ نلناه لما رأيت الحركة التبشيرية التي نراها اليوم النور.

فقد كان التوسع الغربي هو العربة التي حملت رجال الكنيسة المسيحية وافكارها ورسالتها إلى جميع اطراف الأرض. واول النتائج الهامة التي تمخض عنها هذا التوسع كانت انتشار الثقافة الغربية والسلوك الغربي في الحياة وأهم من ذلك كله الدين.

وقد نقلت المسيحية قاعدتها تدريجياً عبر السنين من الشرق . حيث نشأت وترعرعت إلى الغرب فأصبحت مؤسسة غربية.

إن المؤسسات المسيحية وزعامة العالم المسيحي في يومنا هذا ليست في القدس أو أي جزء آخر من فلسطين أو الشرق الأوسط بل توجد في أماكن مثل روما والعالم الغربي عامة.

وعندما بدأ التوسع الغربي يبسط نفوذه في عالمنا الحديث والمعاصر، كانت المسيحية واحدة من السلع الثقافية التي صدرها، أما فيها يختص بالبلاد العربية فقد قامت الإرساليات الغربية بإدخال المسيحية إلى بلادنا ثانية في العصر الحديث، ولكن بوسائل جديدة.

النشاط التبشيري في البلاد العربية

وكما هو الحال في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية فقد قام التوسع الغربي بإعادة المسيحية إلى بلاد العرب وقد شعر مسيحيو الغرب إبان التوسع الغربي بأنهم كانوا في مركز يسمح لهم بأن يبدأوا نشاطهم الديني في بلاد العرب، وقد بدأت الإرساليات الغربية عملياتها في هذه المنطقة منذ مطلع القرن الثامن عشر في الشام<sup>1</sup>

1. كانت سوريا ولبنان وفلسطين والأردن جميعاً تدعى الشام قبل أن يوم الاستعمار بتجزئتها إلى عدة مناطق.



وكان نشاطهم فيها محدودا حيث اقتصر على مدارس متفرقة قليلة وبعض معاهد اللاهوت ونشر الكتب الدينية. وكان جميع المبشرين كاثوليك وغالبيتهم من الفرنسيين.

وأول إرسالية أميركية بروتستانتية وصلت إلى سوريا في سنة 1830. وكان أعضاؤها يتبعون الهيئة الأميركية للرساليات العربية والتي سبق أن أنشأت محطة لها في مالطا وشعروا بضرورة نقل نشاطهم التبشيري والتوغل في الشرق، وحطوا رحالهم في بيروت التي كانت أول محطاتهم وجعلوا منها أهم مركز لهم، وبدأ المبشرون الأميركيون نشاطهم التعليمي هناك متخذين منه وسيلة لتحقيق أهدافهم وادى ذلك في الواقع إلى تطور ملموس في سوريا في ذلك الوقت. وقد استطاعوا التأثير في الناس عن طريق التعليم والطب. وعندما بدأوا يحسون بالاستقرار شعروا أن الوقت قد حان لفتح ميادين جديدة. والواقع أن جهود الرساليات المسيحية للانتقال إلى شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي بدأت مع هنري مارتين سنة 1811، وكان أهم ما قام به من أعمال ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية والمحاولة التي قام بها لبيع بعض النسخ منه. وفي سنة 1824 ذهب جون ولسون ليقوم بعملية استكشافية لشبه الجزيرة العربية تمهيدا للبدء بأعمال التبشير، ولكنه لم يمكث هناك طويلا. وفي عام 1829 ذهب طبيب أسنان من اكستر في بريطانيا اسمه انتوني ن جروفي Groves Antony N. إلى بغداد في العراق وقام ببيع بعض الكتب الدينية هناك وهكذا بدأ محاولته بالعمل التبشيري في تلك البلاد. والعمل التبشيري الوحيد الذي جرى في منطقة الخليج العربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر كان على يد الدكتور جون ولسون من بومباي Wilson John الذي قام بارسال بائع متجول للكتاب المقدس إلى هذه المنطقة في عام 1843. وكان ينتمي إلى الكنيسة الاسكتلندية. وفي سنة 1848 بدأت الهيئة الأميركية للرساليات الأجنبية بترجمة عربية جديدة للكتاب المقدس ثم قام القس سترن Rev. Stern برحلة تبشيرية عام 1856 إلى صنعاء في اليمن وبغداد وأجزاء أخرى من بلاد العرب وهو يحمل الكتاب المقدس معه. وفي عام 1884 قام السيد وليام ليثالي William Lethaly من إنجلترا بصحبة زوجته وبدأ حملة تبشيرية في المدينة في شبه الجزيرة العربية ثم تبعته إرسالية إيان كيث فولكونر Ian Felcone Keith من كنيسة اسكتلندا الحرة والتي بدأت عملها التبشيري في عدن في جنوب اليمن عام 1885. وفي بداية العام التالي حاولت إرسالية شمال افريقيا Mission Africa Mission الوصول إلى القبائل البدوية في شمال الجزيرة دون أن يحالفها النجاح.

ثم جاءت محاولة "الإرسالية العربية" التي بدأت عملياتها على الشاطئ الشرقي للجزيرة العربية (الخليج العربي) في عام 1889.

وهذه الدراسة تهدف إلى تقويم وتحليل أعمال هذه المنظمة التبشيرية التي حاولت ادخال المسيحية إلى بلاد العرب من جديد، واتخذت من النشاط الطبي والتعليمي وسائل أساسية لها كما كان لكثير من أعضائها نشاطات سياسية في المنطقة.

الفصل الثاني

## الإرسالية العربية الأمريكية

### الخليج العربي:

#### (1) الموقع والمناخ:

يقع الخليج العربي على الحدود الشرقية للوطن العربي وفي الجانب الشرقي من شبه الجزيرة العربية، ويمتد باتجاه جنوبي شرقي من العراق إلى بحر العرب والمحيط الهندي لقد كان ممراً للتجارة بين مراكز الحضارة القديمة منذ فجر التاريخ بسبب موقعه الذي يسيطر على الطريق الرئيسي بين الشرق والغرب ولا يزال يتمتع بأهمية تجارية خاصة حتى عصرنا الحاضر مما جعله ميداناً للتنافس الدولي

يبلغ طول طريقه المائي من أقصى الجنوب إلى اعلاه في الشمال ثمانمائة ميل، ويتراوح عرضه بين 180 ميلاً في أعرض أجزائه إلى عرض أدنى لا يتجاوز ثمانية وعشرين ميلاً فقط عند مضيق هرمز، ويقع على جانبيه هضبتان عظيمتان هما هضبة إيران وهضبة الجزيرة العربية.

ومن الناحية الطبيعية فإن منطقة الخليج تتكون في غالبيتها من صحاري أو سهوب صحراوية، فيما عدا عمان التي تتمتع بتربة خصبة صالحة للزراعة، والجبال واعلى قمة فيها الجبل الأخضر ومنطقة الاحساء من المملكة العربية السعودية.

ويتأثر مناخ منطقة الخليج بالمناطق المحيطة به فالجبال في الشمال والشمال الغربي تسمح بمرور الرياح المعتدلة الجافة وهي رياح حارة وصحية وتهب الرياح الجنوبية الشرقية في أواخر الصيف وفي الخريف وأحياناً في فصل الشتاء فتزيد من رطوبة الجو صيفاً والأمطار شتاءً. ومناخ الخليج بشكل عام ذو صيف طويل حار، وشتاء بارد تتخلله الأمطار القليلة فيما عدا مناخ جنوب عمان الذي يتعرض لهطول الأمطار الغزيرة في فصل الخريف.

#### ب) السكان:

الواقع أن معظم سكان منطقة الخليج قد هاجروا إليها من شبه الجزيرة العربية والمناطق المجاورة. ويبلغ عدد هؤلاء السكان حسب إحصاء 1975 ثلاثة ملايين نسمة تقريباً. ويتوزعون على النحو التالي:

عمان 1،750،000، الكويت 850،000، البحرين 150،000، قطر 100،000، والإمارات العربية المتحدة 100،000 ولكن مؤشرات الإحصاء الذي جرى في المنطقة لعام 1980 يدل على أن عدد السكان قد تضاعف تقريباً، وكان معظم سكان المنطقة يحصلون على ضرورات معيشتهم من الزراعة وتجارة اللؤلؤ وصيد الأسماك، أما سكان عمان والبصرة فيعتمدون في معيشتهم بشكل أساسي على الزراعة ولكن المناطق الأخرى كالكويت والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة فكانت تعتمد على صيد الأسماك وتجارة اللؤلؤ والرعي. هذه هي الصورة الاقتصادية للمنطقة في الماضي ولكنها تغيرت فجأة بعد اكتشاف النفط وبشكل خاص بعد إنتاجه بكميات اقتصادية بعد الحرب العالمية الثانية. ونتيجة لذلك هجر سكان المنطقة البحر واتجهوا إلى التنمية الداخلية. واصبحوا يعملون منذ ذلك الحين كموظفين في مؤسسات الحكومة المختلفة وفي التجارة مع العالم الخارجي.

### ج) أهمية الخليج العربي:

كان الخليج العربي مهدا للحضارات القديمة، وما نعرفه عن تاريخ الخليج وجغرافيته في القرون التي سبقت العصر المسيحي قليل، وقد وصلنا هذا القليل عن طريق ما كتبه الجغرافيون والمؤرخون الرومانيون، ولكن المنطقة أصبحت معروفة للاروبيين عندما عثر المكتشفون البرتغاليون على طريق الهند في القرن السادس عشر. فقد وصلوا الخليج العربي حقا وأقاموا قاعدة لهم في هرمز أحد أهم المناطق الإستراتيجية في الخليج العربي والشرق الأوسط. ثم بدأت القوى الأوروبية الأخرى بالتحرك نحو هذه المنطقة بالتنافس فيما بينها للسيطرة على هذا الممر المائي الهام، وكانت النتيجة إن وضعت بريطانيا حدا لهذه المنافسة الدولية عندما احتكرت السيطرة على المنطقة. أن الأهمية المعاصرة لهذه المنطقة هي أنها منطقة غنية بالثروة النفطية . 60% من الكمية التي يستوردها العالم من البترول تعبر مياهه . كما أن المنطقة سوق ممتاز للمنتجات الأوروبية والولايات المتحدة، بالإضافة إلى أهميتها الاستراتيجية السياسية والعسكرية في الخريطة الدولية. وقد اختيرت هذه المنطقة لتكون هدفا للإرساليات المسيحية للبدء منها في تحويل المسلمين إلى الدين المسيحي كما كانت هدفا للأطماع الاستعمارية للسيطرة عليها، ومن الإرساليات التي تحملت المسؤولية للعمل والتأثير على سكان المنطقة هي الإرسالية الأمريكية العربية.

الإرسالية الأمريكية العربية:

هي ارسالية أمريكية بروتستانتية ذات أهداف تبشيرية في منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة.

لقد قام الدكتور لانسنج Dr. Lansing<sup>1</sup>. وثلاثة من مساعديه (وهم جيمس كانتين Contine James وصموئيل زويمر Samuel Zwemer وفيليب فيلبس Phelps Phelps ) بتشكيل هذه الإرسالية. والدكتور لانسنج كان أستاذاً للغة العربية في معهد اللاهوت<sup>2</sup>. في نيوبرونسوك New Brunswick في ولاية نيوجرسي الاميركية. وكان اسم الإرسالية الأصلي هو "العجلة Wheel The" وقد أطلق الدكتور لانسنج ومساعدوه الثلاثة هذا الاسم عليها ولكنه اضطر لتغييره إلى الإرسالية العربية عام 1889 تلبية لطلب رسمي مقدم إلى "هيئة الإرساليات الأجنبية" (التابعة لكنيسة الإصلاح الهولندية في أمريكا) للسماح بالقيام بعمل تبشيري في البلاد الناطقة باللغة العربية. وبدأت الإرسالية عملها كمشروع مستقل لاعتقاد مؤسسها في بادئ الأمر انه من الصعب أن يجوز على رضا الكنيسة، ولكنها في الحقيقة أصبحت وثيقة الارتباط بالكنيسة الإصلاحية وتابعة لها حيث أصبحت هذه الإرسالية عضوا رسميا بها منذ عام 1894.

ولم يكن للكنيسة الأم في الولايات المتحدة سوى سيطرة جزئية على الإرسالية العربية حيث كان يغلب على العلاقة بينهما النظام اللامركزي، ولذا فان الإرسالية العربية كانت تدير شؤونها اليومية مستقلة، ولا ترجع إلى الكنيسة الأم الا لطلب الأموال وتزويدها بأعضاء الهيئة التبشيرية. وكان الهدف الرئيسي للإرسالية العربية الأميركية هو القيام

1. إن ما دفع الدكتور لانسنج إلى إنشاء الإرسالية للعمل في هذه المنطقة لأن والده كان مبشرا في سوريا لمدة طويلة في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

2. وقد أنشئ هذا المعهد اللاهوتي في 1784 لتدريب المبشرين التابعين لكنيسة الإصلاح في الولايات المتحدة وكان مركز المعهد في نيوبرونزول في ولاية نيوجرسي

حتى عام 180 عندما إنضم إلى جامعة رتجوز Rutgers University

بالتبشير في شبه الجزيرة العربية، ولكنها فيما بعد نظرا لافتقادها إلى المبشرين فقد قصرت نشاطها جغرافيا على منطقة الخليج العربي. والجزيرة العربية هي موطن الدين الإسلامي، حيث كان الإسلام الخصم الرئيسي للمسيحية والعقبة الكبرى التي واجهت استراتيجية التبشير في المنطقة، لذا قرر مؤسسو الإرسالية أن ينشروا الإنجيل المسيحي في المكان الذي نشأ فيه الإسلام، وحيث كان الأمل في تحويل عدد كبير إلى المسيحية ضعيفا، وكان مؤسسو الإرسالية يدركون تماما الصعوبات التي تعترض العمل التبشيري هنا، لكنهم مع ذلك كانوا يعتقدون أنه غير مستحيل. لقد كانت المهمة الرئيسية للإرسالية هي التبشير الديني والتعليم وتقديم الخدمات الصحية. وكانت عملياتهم اليومية تدار محليا عن طريق لجان مشكلة لهذا الغرض.

وقد حذروا مرارا من المصاعب الكبيرة التي سيقانونها وخاصة أنهم سيقومون بالتبشير في جميع أنحاء الجزيرة العربية مهد الإسلام.

وبعبارة أخرى فإن المبشرين الذين يضطعون بهذه المهمة يجب أن يكونوا من المؤمنين إيمانا عميقا برسالتهم التبشيرية لانهم سيذهبون إلى ميدان خاص للتبشير لمسلمين شديدي التمسك بدينهم، والعمل في جو شديد الحرارة، وقبل البدء بالعمل التبشيري وضعت قيادة الإرسالية خطة للعمل في عام 1889 لتحديد سياسة ومجالات نشاطاتها. الخطة الأولى للإرسالية:

يتضح من قراءة خطة عمل الإرسالية ودستورها<sup>1</sup> أن الهدف الرئيسي للإرسالية كان تحويل أهالي الجزيرة العربية إلى المسيحية وكان تركيزها على سياسة الإرسالية وتنظيمها ومهما يكن فإن المصادر الأخرى قد أكدت على الجانب التبشيري الديني فقد ذكرت السيدة آن هاريسون Ann Harrison "لقد أرسلنا لتحويل الناس إلى المسيحية والدعوة إلى قدرة الله".

وكان هذا هو الأساس الذي سترتكز عليه مشروعات الإرسالية في المستقبل حيث إن الهدف الأساسي هو تنصير الجزيرة العربية وحمل أهلها على اعتناق المسيحية. إن موقف الإرسالية الأساسي موقفا متصلبا ضد الإسلام وكان هدف صموئيل زويمر ورفاقه هو دفع جميع بني الإنسان ليصبحوا اتباعا للسيد المسيح وكانت خطة الإرسالية تجسيدا لهذه الأفكار. والنقطة الثانية في مناقشة الخطة هي تسمية المنظمة فقد اختاروا اسم "الإرسالية العربية" نظرا للاعتبارات التالية:

أولا: إن الهدف الأساسي لهذه الجمعية كان العمل التبشيري في بلاد عربية وبشكل أساسي شبه الجزيرة العربية والتي هي موطن العرب والدين الإسلامي.

ثانيا: إنهم أرادوا أن تكون هذه الإرسالية مختلفة ومميزة عن غيرها من الإرساليات المسيحية لكي تستطيع أن تلفت الانتباه لهذا الميدان الجديد والذي كانوا يعتقدون أنه مهيا لاستقبال أمثال هذه الدعوة.

1 . خطة الإرسالية ودستورها بنهاية هذا البحث في الملحق رقم (1).

ثالثاً: ان اختيار هذا الاسم يهدف إلى التغلب على الشكوك التي يحملها العرب نحو أنشطة الأجانب. وهذه الشكوك كانت طبيعية جداً وخاصة في ذلك الوقت عندما كان الصراع الأجنبي على أشده في منطقة الخليج العربي بشكل خاص. وقد وضعت الخطة الخطوط العامة لنشاط الإرسالية في المرحلة المقبلة واختارت الجزيرة العربية هدفاً لها. الأسباب التي دعت لاختيار الجزيرة العربية هدفاً للإرسالية:

إن اختيار الجزيرة العربية هدفاً لنشاط الإرسالية التبشيري أسباب عديدة، وأحد هذه الأسباب الرئيسية هو الادعاء بأنه كان في السابق للمسيحية تأثير في هذه المنطقة. وقد سبق أن أشرنا لهذه النقطة في الفصل الأول. ولهذا فقد كانوا يعتقدون أن إرجاع المسيحية إليها غير مستحيل. وقد أكد صموئيل زويمر وجيمس كانتين وهما من رواد هذه الحركة على أهمية هذا السبب عندما ذكرا:

"إن من بين الدوافع للعمل في (الجزيرة العربية) أولاً الأسباب التاريخية..... إن للمسيح حق في استرجاع الجزيرة العربية وقد أكدت الدلائل التي جمعت لدينا في الخمسين سنة الأخيرة على إن المسيحية كانت منتشرة في هذه البلاد في بداية عهدها. وهناك دلائل أثرية واضحة على وجود الكنيسة المسيحية هناك ولهذا فإن من واجبنا أن نعيد هذه المنطقة إلى أحضان المسيحية".

والسبب الثاني هو أن النجاح المسيحي في الجزيرة العربية سيكون نقطة تحول في العمل التبشيري المسيحي. وهذه الفكرة كانت تفترض أن نجاحهم سيكون منطلقاً لفتح أبواب المنطقة بأكملها أمام التبشير المسيحي. وقد اكدت الارسالية على ضرورة التعاون مع المنظمات المشابهة والتي سبق لها العمل داخل المنطقة. ولوضع هذه الفكرة قيد التنفيذ توقف جيمس كانتين في ادنبره في السادس عشر من اكتوبر سنة 1889 في طريقة إلى المنطقة ليضع أسس التعاون مع إرسالية كيث فولكانز Mission Keith Falconeis في عدن والتابعة الى كنيسة اسكتلندا الحرة. وبعد وصوله المنطقة قامت الارسالية العربية بالاتصال بارسالية كيث فولكانز للتعاون وتقديم المساعدة. والواقع إن هذه الارسالية قدمت للمبشرين الأميركيين مساعدات قيمة، واهم هذه المساعدات ما يتعلق بتقديم المعلومات عن أحوال المنطقة وخاصة الجغرافية والاجتماعية والدينية. بالإضافة الى هذا فإن الارسالية العربية حصلت على تعاون المنظمات المشابهة في العراق . الارسالية المتحدة في العراق . المجلس المسيحي للشرق الاوسط وجمعية الكنيسة التبشيرية.

بدء العمليات الميدانية للإرسالية:

وبعد أن اتمت الارسالية العربية وضع تفاصيل خطة العمل بدأت بالاعداد للعمل الميداني. وفي بادئ الامر اجتمع المبشرون وقاموا بدراسة كل ما يتصل بالمنطقة من معلومات جغرافية واجتماعية واقتصادية ودينية وغير ذلك. وقد كانوا يعتبرون المنطقة غير مستكشفة في ذلك الوقت حيث أكد ماسون Mason وبارني Barney على هذه النقطة: "إن الجزيرة العربية كانت من الناحية العملية غير مكتشفة وسكانها مجهولون ولذا فإن من الاهمية بمكان أن نكرس جزءاً من وقتنا لدراسة أحوالها واختيار الموقع المناسب للعمليات المقبلة قبل القيام بأية محاولات ايجابية".

والواقع إن النقص في المعلومات كان كبيراً مما أدى الى وقوع الإرسالية في متاعب كثيرة. وأهم هذه المتاعب عدم تقديرهم الصحيح لمشكلات المنطقة كاللغة والطقس والدين.. الخ..... وقد وصف الجنرال هيغ Heig في رحلته إلى الجزيرة العربية الأحوال الجغرافية والاقتصادية والتجارية والدينية للبلاد والقبائل المختلفة التي قام بزيارتها وقد خرج من جولاته بالقناعة التالية:

"إن كل الجزيرة العربية بدرجات متفاوتة مهيأة لاستقبال الكتاب المقدس بذراعين مفتوحتين".

وقد ثبت أن تنبؤات الجنرال هيغ لم تكن صائبة حيث أخفقت الإرسالية في نشر الكتاب المقدس سواء في شبه الجزيرة العربية أو في منطقة الخليج العربي. وسنبحث هذه النقطة بالتفصيل فيما بعد. ولكن يجدر بنا أن نحاول تقصي الأسباب التي دعت إلى التنبؤ بالنجاح. ومن الأمور التي يمكن أن تكون قد أدت إلى تضليل الجنرال هيغ هو أن شبه الجزيرة لم تكن معروفة جيداً في تلك الأيام وربما حمل جهل سكان الجزيرة بالقراءة والكتابة الجنرال على الاعتقاد بأنهم ليسوا على درجة كبيرة من الأيمان. ومن الأسباب القوية الأخرى التي أدت إلى قناعة تلك أنه ظن أن سيطرة البريطانيين على هذه المنطقة قد مهدت الطريق أمام المسيحية ولكن لم يحدث في التاريخ أن استطاعت قوى الاستعمار تغيير شخصية وأفكار الناس بالقوة في أي بقعة من بقاع العالم.

والعامل الهام هو أن الإرسالية لم تقم بدراسة الإسلام دراسة وافية، فقد كانت مقتنعة من أن المسيحية لن تواجه منافسة دين آخر أكثر ألفة لدى أهل المنطقة منها، وأكثر انسجاماً مع حاجاتهم. وليس أدل على فشلهم في فهم الإسلام وأهميته وتعلق سكان تلك المناطق به من الانطباعات والقناعات التي خرج بها أحد رواد التبشير في الجزيرة السيد ستون<sup>1</sup> Stone والذي ذهب إلى حد القول:

"إن الحاجة إلى المسيحية ليست أمراً مبالغاً به، فالعقيدة المحمدية لا تقل سوءاً عن الصورة التي نحملها عنها، وإنني أعتقد جازماً بأن الإسلام ليس بالقوة التي نتصورها، وأن الكنيسة إن اقتنعت بأن تلقي بثقلها ضده فإن المعركة ستكون أسهل مما نظن. وأنني أعتقد أن نهاية الإسلام قد أصبحت محتومة".

وبالإضافة إلى هذا العامل الهام فإن الإرسالية لم تكن متمكنة من اللغة العربية بحيث تستطيع أن تقيم صلات طبيعية مع الناس، يضاف إلى ذلك أن صلاتهم بالدوائر الحكومية البريطانية والأميركية أعطت الناس انطباعاً بأن أهداف الإرسالية وأهداف السلطات الاستعمارية واحدة. وسنبحث المضامين السياسية للإرسالية بالتفصيل في فصل مستقل من هذه الدراسة.

المحطات الميدانية:

كانت العاصمة اللبنانية بيروت أول محطة انتقالية للعمل الميداني للإرسالية العربية في المنطقة كلها، فأقام المبشرون هناك عدة شهور لجمع المعلومات ودراسة اللغة العربية والتدريب على استخدامها، والنظر إلى ميدان

1 . السيد ستون هو أحد رواد الإرسالية العربية وقد عمل في مسقط في سنة 1899 ثم تولى عن العمل بسبب المرض ولم يلبث أن مات في السنة التالية.

عملهم المقبل للمرة الأولى، والاهم من ذلك كله مقابلة رفيقهم المقبل كميل عبد المسيح وهو مسيحي سوري اصبح فيما بعد مساعدا للإرسالية وقد لعب دورا هاما ومفيدا في اعمال الإرسالية، وقال عنه ماسون Mason .  
"إنه واحد من اكثر الشخصيات نفعا وإثارة للإعجاب..... وقد كان شابا سوريا يسكن في بيروت ويتمتع بطبيعة تواقفة للمعرفة وفكر رصين."

وقد تلقت الارسالية العون ايضا من المبشرين الاميريكيين الذين كانوا يزاولون نشاطهم في بيروت قبل أن تولد هذه الارسالية بوقت طويل.  
افتتاح محطة البصرة:

وبعد بيروت ذهبت الارسالية العربية الى البصرة وبدأت باقامة اول محطة لها وقد اصبحت هذه المحطة في السنوات التالية مركزا وقاعدة لعملياتهم في منطقة الخليج العربي، وكانت بين المناطق الهامة التي كانوا يخططون لاحتلالها<sup>1</sup> ولم يكن اختيار البصرة قاعدة ومحطة اولى لعملياتهم أمرا اعتباطياً بل أمرا مدروسا، فقد كان موقع هذه المدينة يتمتع بأهمية استراتيجية في المنطقة كلها لأنها تسيطر على الرأس الشمالي للخليج العربي. وكانت الحكومة الاميركية قد سبق أن انشأت قنصلية هناك واستطاع المبشرون الاميريكيون أن يعيشوا ويعملوا تحت حمايتها. وقد كان في هذا عون كبير لهم خاصة في الوقت الذي كانت فيه تحت سيطرة الدولة العثمانية وكان صموئيل زويمر S.M. Zwemer وجيمس كانتين James Cantime أول رائدين للعمل التبشيري في تلك المحطة ولهذا كانا أول من واجه ردود فعل المواطنين وقياداتهم الدينية بالاضافة الى السلطات التركية.

ومن البصرة بدأ عمل الارسالية بتغطية معظم أراضي الخليج وبعض أجزاء شبه الجزيرة العربية، وقد قام المبشرون بزيارة موانئ الخليج والمناطق الداخلية في عمان ومناطق أخرى في شبه الجزيرة العربية مبتدئين بمسقط ثم البحرين والاحساء والكويت. وكان المبشرون عندما يرغبون بفتح ميادين جديدة يعتمدون على رحلاتهم الأولية. وكانت هذه الرحلات هي الوسيلة الصحيحة لاكتشاف ودراسة الاوضاع الجغرافية والسياسية عن طريق مباشر، وبعد هذه الرحلات تكون الإرسالية قد تهيأت لبدء عملياتها في المنطقة الجديدة. وكان المبشرون يركزون على تأمين الحاجات الاساسية كالسكن والمستشفى والمكتبة والمدرسة والكنيسة، ويختارون لهذه المنشآت الأحياء التي تمكنهم من الاتصال بالناس بسهولة.

وقد لاقى تأسيسهم لمحطتهم في البصرة عام 1891 معارضة وعداء شديدين من جانب السلطات التركية وبخاصة فيما يتعلق بالحصول على الابنية الضرورية. وكان مشروع البناء التبشيري الأول في البصرة مدرسة البنات بحديقتهما الواسعة المغروسة بالانخيل. وأقاموا مسكنا قريبا منها لأعضاء الإرسالية وأنشأوا مكتبة داخل أسوار مجمع مدرسة البنين في العشار في وسط مدينة البصرة في نفس الوقت الذي بنوا فيه مدرسة البنات، وكان لوجود السيد دايكسترا

1 . أن كلمة "احتلال المنطقة" استخدمها المبشرون في أدبياتهم وهي أقرب إلى اللغة العسكرية منها إلى التبشير السلمي الذي يتبنونه ويعملون من أجله.

Dykstra . وهو أحد رؤساء الإرسالية . في البصرة والذي كان لديه خبرة في هذه الأمور فرصة ثمينة للاستفادة من خدماته في هذا الميدان وقد تم الانتهاء من المشروعات المختلفة في سنة 1930.

ومن المعالم البارزة للنشاطات التبشيرية الأولى في البصرة توزيع الكتب المقدسة على الناس، واول مؤسسة تبشيرية افتتحت في تلك المنطقة هي مكتبة الكتاب المقدس ويدعى المبشرون بأنهم كانوا يبدأون أولا ببيع أعداد كبيرة من الكتب الدينية واعتبروا ذلك دليلا على تأثيرهم على عقول الناس. ولكن الامر في الحقيقة لم يكن كذلك لأن الناس كانوا متعطشين للقراءة وبخاصة في أمور لم يكونوا يعلموا عنها شيئا في وقت كانوا لا يزالون يعيشون بعيدا عن الحضارة الحديثة. وسنعود إلى هذه النقطة بالتفصيل في فصل النشاط التبشيري الديني.

ولم يجد المبشرون صعوبة في استئجار المنازل في البصرة في العقد الثاني من نشاط الإرسالية؛ فقد تمكنوا من الحصول على مساكن عديدة وكانت الحاجة إلى التأثير العظيم للخدمات الطبية هي من أهم القضايا التي واجهت الإرسالية في عام 1908 وفي نفس تلك السنة تبرع أحد أصدقاء الإرسالية بملغ 6,000 ستة آلاف دولار لبناء مستشفى آخر في المنطقة وبعد مناقشات طويلة حصلت الإرسالية على ترخيص بناء المستشفى الجديد، وهو مستشفى لانسنج التذكاري Lansing Memorial Hospital والذي أنشئ في سنة 1909.

وهكذا نرى أن العمل التبشيري قد نما بالتدريج بالرغم من الصعوبات التي زادت حدتها بعد الانقلاب التركي في عام 1908 واستمر هناك إلى سنة 1958 عند قيام الثورة في العراق. ونتيجة للحدث الأخير فقد قررت الإرسالية اغلاق هذه المحطة وتسليم مؤسساتها إلى (الإرسالية المتحدة في العراق) والتي كانت تعمل في الجزء الشمالي من البلاد. وعند استقرار أوضاع الإرسالية في البصرة رأى المبشرون أن الوقت قد حان لافتتاح محطة جديدة في الخليج ووقع اختيارهم على البحرين.

افتتاح محطة البحرين:

تقع جزيرة البحرين في الخليج العربي وتأتي أهمية هذه الجزيرة أنها تقع في منتصف الطريق بين البصرة ومسقط وقربها من الاحساء في المملكة العربية السعودية. والواقع أن هذه الجزيرة كانت في يدي قوى عديدة منذ بداية القرن السادس عشر، فقد احتلها البرتغاليون في عام 1521 والفرس في عام 1622 والقبائل العربية في منتصف القرن الثامن عشر والبريطانيون في عام 1920

وصل المبشرون إلى الجزيرة في نهاية القرن التاسع عشر عندما قام القس صموئيل زويمر بزيارة هذه المنطقة عدة مرات لكي يفتتح محطة تبشيرية جديدة هناك، وقد كتب يقول عن زيارته الأولى عام 1892:

"إن العرب جميعا يكرمون الغرباء وبوجه العموم فان عرب الساحل العربي... لا بد أن يساورهم الشك عندما يأتيهم مسيحي حاملاً الكتاب المقدس ولكنهم استقبلوني بأقل مضايقة مما توقعت". وفي بداية العام التالي أقام زويمر مكتبة للكتاب المقدس وخلال عام 1893 استمر العمل في انشاء المحطة في البحرين ببطء بافتتاح مستشفى ومدرسة. ومع أن البحرين كانت تعتبر في أول الأمر محطة تابعة للبصرة الا انها أصبحت فيما بعد محطة رئيسية ثانية لا بل



قاعدة للعمل التبشيري التابع للارسالية، فقد ظهر بنتيجة التجربة أن النشاط التبشيري في تلك الانحاء كان محدودا، كما وجد المبشرون أن العمل في البحرين اسهل من العمل في البصرة بسبب موقعها أولا ولكونها محمية بريطانية ثانيا وقد ذكر أحدهم:

"إن وضعها السياسي يعطي قدرا اكبر من الأمان للعمل التبشيري مما هو الحال في البلاد العربية التي تنعم بقسط أكبر من الاستقلال". وكان العمل السياسي للمبشرين في البحرين هو الخدمات الطبية، وقد تطور هذا العمل عندما جاء السيد تومس Thoms وزوجته من البصرة في سبتمبر سنة 1900، (وكانت الحاجة الى مستشفى ماسة جدا) ووضع الحجر الأساسي لمستشفى ماسون التذكاري Mason Memorial Hospital في 19 آذار (مارس) عام 1902 جرى تكريس المستشفى كأول مستشفى تبشيري في منطقة الخليج. وكما هو الحال في المحطة الأخرى فقد اقيمت مدرسة وكنيسة في الحجرات الارضية من المسكن. وقد تبرعت عائلة ماسون Mason من بروكلين في نيويورك بالأموال اللازمة لبناء هذا المستشفى. وفي عام 1926 تم انشاء مستشفى آخر وهو مستشفى ماريون ويلز توماس التذكاري Marion Wells Thomas Memorial وجرى بعد ذلك تغيير شامل في مساكن المبشرين، فبنى منزل كبير بجانب المجمع الصحي، وقد اعيد تصميم هذا المنزل لتقسيمه الى شقتين منفصلتين. وقد هدم مسكن الطبيب القريب من المستشفيات بسبب قدمه واقيم مكانه مسكن الطبيب القريب الشرقي والذي يتمتع بقيمة تاريخية كبيرة والذي كان يعتبر مكانا مثاليا للراحة عندما أقيم سنة 1908 فقد كان يستعمل على مدى السنين مركزا للعديد من الانشطة التبشيرية. وقد بنى منزل منفصل بجواره فيما بعد تابع للارسالية.

افتتاح محطة مسقط :

عند استقرار اوضاع الارسالية في البحرين حان الوقت للتحرك الى منطقة هامة أخرى الا وهي مسقط. وكانت مسقط تعتبر موقعا حساسا لا يقل اهمية عن البصرة فقد كانت تسيطر على الطرف الجنوبي للخليج العربي وهو طريق مائي هام في الشرق. وكان التبشير في تلك المنطقة بالذات على درجة كبيرة من الأهمية. ولأهمية الدور التاريخي الذي لعبه العمانيون في شرق افريقيا، فانه من الأهمية بمكان الحديث عن هذا الدور قبل الدخول في مناقشة نشاطات الارسالية العربية في مسقط.

دور عرب عمان في افريقيا :

لقد كانت افريقيا واحدة من البلاد التي حمل اليها دعاة الإسلام نشاطهم، وعندما جاء الإسلام كان قد مضى على تأسيس المسيحية هناك زمن طويل وبخاصة في مصر والحبشة ومنها انتقل إلى بلاد النوبة (السودان). وقد نجح الإسلام هناك بالوسائل السلمية، وقد انتشر نفوذه عن طريق النساك الذين كانوا يقيمون في أماكن منعزلة للانقطاع لعبادة الله وتمكنوا بالتدريج من اجتذاب سكان المناطق المجاورة إليهم وكان أول من وصل إلى تلك الجهات من الاوربيين هم البرتغاليون الذين بنوا الكنائس في تلك المناطق في سنة 1501 ومنذ عام 1560 بدأت الارساليات الاوربية بالوصول والقيام بتحويل الناس إلى المسيحية وكان العرب يعرفون المناطق الشرقية من افريقيا منذ وقت

طويل والتجارة بين شواطئ البحر الأحمر كانت مزدهرة قبل مجيء الإسلام حيث لعبت التجارة بين الجزيرة العربية وإفريقيا دورا كبيرا في نشر الإسلام في إفريقيا وخاصة في المناطق المتاخمة للبحر، وكان تأسيس الدول الإسلامية في إفريقيا منذ القرن العاشر لا يشكل خطرا على المملكة المسيحية في الحبشة ومنذ القرن العاشر إلى القرن السادس عشر كانت مراكز الدعوة الإسلامية منتشرة في شرق إفريقيا مثلاً في مناطق زائلة Zaila وحرار Harar وإريتريا Eritre.

وكان انتشار الإسلام في إفريقيا بطيئاً بالرغم من قربها من الجزيرة العربية، وكانت السفن الشراعية العربية تبحر من جنوب الجزيرة ومناطق الخليج إلى إفريقيا بالإضافة إلى الهند والصين خلال الأشهر الأربعة من السنة التي يعتدل فيها المناخ وتعود عند تغير اتجاه الرياح.

وكانت القارة الأفريقية معروفة عند الأوروبيين من أيام فاسكو دي جاما الذي وصل إلى مدن شرق إفريقيا في عام 1498 ورأى مراكز المسلمين التجارية. وقد قلب وصول البرتغاليين ميزان القوى لأنهم احتلوا عدة أماكن وسيطروا على الساحل منذ 1530، وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى انهيار السيطرة العربية والنفوذ الفارسي في المنطقة. ولكن في عام 1698 طرد عرب عمان البرتغاليين من الشمال واستولوا على زنجبار وكلوا Kilwa مما أدى إلى القضاء على نفوذ البرتغاليين في المنطقة وفي سنة 1840 أنشئت مراكز دائمة للتجارة العربية ولكن نفوذ الدول الأوروبية الأخرى وبخاصة بريطانيا بدأ يتسلل إلى جنوب الجزيرة العربية وإلى منطقة الخليج العربي. وفي أثناء سنوات النزاع السياسي والاقتصادي استمر الإسلام بالانتشار على أيدي الدعاة المستقلين والتجار وعن طريق الصلات الاجتماعية كالزواج. وفي القرن التاسع عشر دخل المبشرون المسيحيون إفريقيا مع توسع الاستعمار الغربي والمشاريع التجارية، ولم تفعل الحركات الإسلامية شيئاً لمنع المبشرين المسيحيين من ممارسة نشاطهم هناك. وبدأ المبشرون يعملون بنشاط منذ عام 1850. وقد ساعدت العوامل الاجتماعية والسياسية كالنمو الاستعماري والتوسع التجاري وانتشار الخدمات الإنسانية مثل الطب على تقدم الحركة التبشيرية المسيحية في المنطقة. وقام المبشرون المسيحيون بزيادة نشاطهم زيادة كبيرة في حين استمر تأثير الدعاة المسلمين<sup>1</sup> في المناطق الساحلية والداخلية من إفريقيا. ونظراً لاستقرار العرب هناك منذ زمن طويل فإن التقاليد الاجتماعية العربية كانت مألوفة للسكان ولذا فقد وجد العرب جوداً ملائماً لمزاولة نشاطهم كما أنهم لم يجدوا صعوبة في التكيف مع التقاليد والأعراف الاجتماعية المحلية للأهالي الأفريقيين.

والواقع أن النشاط الإسلامي في أفريقيا ظهر كنتيجة طبيعية للاتصال التجاري والتزاوج بين المسلمين وأهالي البلاد، ولهذا فإن التعاطف بين الداعية المسلم والمواطن الإفريقي أقوى من التعاطف بين الزوج والأوروبيين. ويذكر بارنر Parrinder أنه "يوجد اليوم العديد من الإرساليات المسيحية في مناطق إسلامية عديدة في خط الاستواء ولكن عددها أقل في الشمال. وعدد من اعتنقوا المسيحية من المسلمين قليل جداً في شمال أفريقيا لأن التحول عن الدين

1 . تختلف الدعوة الإسلامية في إفريقيا عن التبشير المسيحي كثيراً فقد كانت تعتمد على جهود فردية غير مرتبطة بدولة أو جماعة منظمة معينة.

الإسلامي أمر يتنافى مع المجتمع كله والذي يفرض على الفرد أن ينفصل عنه، ولكن التأثير غير المباشر للتعليم والنفوذ الغربي كان كبيرا في المائة سنة الأخيرة وتأثير الإسلام على المسيحية أقل وضوحا.

وهناك تنافس اليوم بين الدعاة المسلمين والمبشرين المسيحيين في أفريقيا وإذا أخذنا في الاعتبار المحاولات التي جرت للحوار بين انصار الديانتين في السنوات الماضية، فإن من المناسب أن نتساءل ما إذا كان هذا سيؤثر على التنافس بينهما أم لا ؟ ومن العصب الإجابة على هذا السؤال إلى أن يحقق الحوار تقدما إيجابيا.

وباختصار فإن العمانيين قد لعبوا دروا كبيرا في إقامة اتصال بين أهالي الساحل الشرقي لأفريقيا وبين أهالي جنوبي الجزيرة والخليج العربي في تاريخ مبكر. لقد استغل العرب التجارة في نشر الدين الإسلامي حتى وصل إلى جزر الهند الشرقية وقد أدت اتصالاتهم مع القبائل الرحل من الحاميين الذين يعيشون على شواطئ البحر الأحمر والقرن الأفريقي الشرقي إلى إسلام السكان، ومع ذلك فإن تأثيرهم على عالم البانتو Bantu خلال قرون من الاتصالات الساحلية المستمرة لا يكاد يذكر. وكان الإسلام إذن يحاول أن يحصل على موطن قدم له بين الشعوب الموزعة على الساحل والذين كونوا صلات مع التجار العرب، ولكن تغلغل نفوذهم في أعماق أفريقيا لم يبدأ فعلا إلا في هذا القرن.

وكان للعمانيين الذين حاولت الإرسالية العربية الأمريكية التأثير عليهم وتحويلهم إلى المسيحية دور كبير في نشر الدين الإسلامي في أفريقيا. ومن الواضح الآن أن كلا الديانتين الإسلامية والمسيحية تعملان بنجاح في أفريقيا. والسؤال الذي يهمنا في هذا البحث هو: لماذا استطاع التبشير المسيحي النجاح في أفريقيا في حين أنه فشل في الخليج العربي؟ والحقيقة أن هناك عدة اختلافات بين المجتمع الأفريقي ومجتمع الخليج العربي والذي قد يكون السبب المباشر في التأثير هناك وعدمه هنا في الخليج، أولها: إن المسيحية كانت عميقة الجذور في المجتمع الأفريقي منذ بداية عهدها وخاصة في مصر والحبشة. وثانيها: إن المبشرين المسيحيين في أفريقيا كانوا يبشرون عامة بين قبائل من الوثنيين، في حين كانوا يعملون في الخليج بين المسلمين. وثالثا: إن نفوذ الاستعمار الأوروبي في أفريقيا كان أقوى منه في الخليج العربي وهذه الحقيقة ساعدت المبشرين على التوسع في تبشيرهم بحرية وبدون عراقيل. ورابعا: إن الإرساليات التبشيرية في أفريقيا كانت أقوى من تلك التي عملت في الخليج العربي فارسالية الكنيسة التبشيرية، C.M.S. على سبيل المثال قد قويت بتأثير دعم وحماية السلطات البريطانية. وخامسا: إن استخدام اللغة العربية كان واحدا من أهم الأسباب. إن القرآن قد نزل باللغة العربية، وبما أن اللغة العربية هي اللغة المحلية فلم تكن هناك صعوبة في فهمه. أما فيما يختص بالأفريقيين فقد كان الحال يختلف لأن فهمهم للإسلام كان ضعيفا ولذا فقد كان من السهل على المبشرين التأثير عليهم. هذه هي الأسباب الرئيسية التي أدت إلى نجاح المسيحية في أفريقيا وعدم نجاحها في الخليج العربي. ومن الجدير بالملاحظة أن الدعاة المسلمين المستقلين قد نجحوا في أفريقيا بسبب وثنية أهلها، كما أن إقامة الصلات الاجتماعية بينهم سهلت عليهم سبل الاتصال.

إن الصلات التي تربط بين عمان وشرق أفريقيا مكنت إرسالية الكنيسة التبشيرية الانجليزية من إرسال أول المبشرين إلى مسقط، وهذه الصلاة نفسها هي التي مكنت الإسلام من التغلغل في أفريقيا، والتي كانت فيما عدا ذلك ميدانا مفتوحا للرساليات المسيحية.

وقد أكد الكسندر مكي Alexander Mackay وهو أحد رواد التبشير في أوغندا مرارا على ضرورة إنشاء مراكز للتبشير في مسقط، وقد انطلق هو نفسه إلى تلك المنطقة في شباط (فبراير) 1891 ولكنه لم يتمكن من الاستمرار في عمله بسبب مرضه وقد مات في نفس تلك السنة. تحركت الإرسالية العربية التي سبق أن مارست نشاطها في مناطق أخرى من الخليج إلى مسقط سنة 1893 وبدأت بإنشاء ثالث محطة هامة لها في المنطقة.

والواقع أن المبشرين عندما كانوا ينوون إقامة محطة جديدة كانوا يقومون عادة بعدة رحلات إلى المكان الذي يقررون إقامتها فيه كما سنرى فيما بعد. وقد قام القس بيترج. زويمر أحد رواد الإرسالية العربية بزيارة إلى مسقط في كانون أول ديسمبر) سنة 1893 بهدف دراسة إمكانية إدخال العمل التبشيري إلى هناك، ويبدو إن نتائج الزيارة كانت مشجعة فقد كتب يقول في أول رسالة له من الميدان الجديد:

"منذ بعض الوقت ومسقط تقدم فرصة مفتوحة لنشر الانجيل ومزاولة النشاط التبشيري فيها. إن قدومي إلى هنا كان بهدف التعرف على أساليب العمل المناسب لهذا المكان. والعرب مستعدون للقدوم إلى منزلي لمناقشة الأمور الدينية إذا دعوتهم. وقد ثبت أن بائع الكتب المقدسة "نعوم" قارئ جيد للانجيل. وقد قمت بزيارة معظم القرى الواقعة على الممرات الجبلية، والكتب المقدسة تباع في معظم الأماكن وتقرأ في السوق أو في المقهى". لقد حاول القس بيتر زويمر أن يبين الفرص المفتوحة للعمل أمام الإرسالية العربية في ذلك الميدان الجديد. وقد سبق إن ذكرنا بخصوص البصرة ان المبشرين كانوا يعتبرون أن مجرد بيع عدد من الكتب المقدسة دليل على نجاح عملهم التبشيري. ولكن الواقع ان الناس في ذلك الوقت كانوا على استعداد لقراءة أي شيء يصل إلى أيديهم علماً بأن عدد الذين يستطيعون القراءة واحداً كان محدوداً.

لم يواجه المبشرون أية مقاومة عندما بدأوا يباشرون في عملهم في مسقط ولكنهم واجهوا العديد من المصاعب عندما بدأوا يمدون نشاطهم إلى مطرح mattrah التي أصبحت محطة فرعية لهم وقد جاءت ردود الفعل من عدة جهات: من المواطنين ومن الحكومة المحلية ومن السلطة البريطانية. وفي السنة الأولى من عملهم في مسقط كانوا يركزون اهتمامهم على تأمين المرافق اللازمة حتى استطاعوا أخيراً شراء قطعة من الأرض وإقامة الابنية عليها أصبحت هذه نقطة تحول تدل على الاستقرار والإقامة الدائمة في تلك المنطقة. وعندما جاء القس بيتر زويمر إلى تلك الجهات استأجر أحد منازل الاهالي وكان واحداً من أحسن المنازل في مسقط. وكان وضع زويمر أقل خطورة بسبب وجود القنصل الأمريكي لانه كان يجد ملجأ له في القنصلية عندما يواجه المتاعب حيث عاملته القنصلية هو ورفاقه على انهم رعايا امريكيون يجب حمايتهم. واستطاع استخدام حمايتها لمتابعة عمله التبشيري وسنعالج هذه

النقطة بتوسع اكبر في الفصل الخاص بالتورط السياسي وعلى اية حال استطاع المبشرون شراء منزل، وقدم لهم سلطان مسقط قطعة من الارض لتكون حديقة للمنزل الذي أعادوا بناءه، وبناء مقبرة على بعد قريب منه.

وفي ربيع سنة 1908 انتهى بناء مدرسة بيتر زويمر التذكارية وهي بناية مؤلفة من طابق واحد مساحتها 600 قدم مربع وقد تكلف البناء 1,200 دولارا وقد استخدمت الإرسالية جزءا من هذا البناء كمستشفى، وقد اجريت بعض الاصلاحات وادخلت بعض التحسينات على المنزل الذي تستخدمه الإرسالية من قبل. وقد جرى توسيع كنيسة بيتر زويمر التذكارية واصبحت كنيسة لمسقط ومطرح أيضا. وعندما أصبح للمبشرين سكن دائم هناك بدأوا يمارسون نشاطهم بحماسة وثقة كبيرين.

وفي سنة 1909 تملكت الإرسالية العربية فدانين من الارض بغرض المحافظة على الشروط الصحية للمنطقة المحيطة بالمنزل التابع لها.

وهناك حقيقة لا بد من ذكرها هنا وهي ان المبشرين قد قاموا بمحاولات كبيرة لشراء الارض في كل من المحطتين الأخيرتين بدلا من استئجار أبنية جاهزة ويتضح السبب لهذا التصرف هو نصيحة القنصل البريطاني للمبشرين الأمريكان عندما قال لهم:

"إنه من الأفضل أن تسجل الارض رسميا باسمكم حتى لا يكون هناك مجال في المستقبل لسحب الامتياز". وجرى العمل في هذه المحطة بنفس الاسلوب الذي اتبع في البحرين لان الموقعين يتمتعان بنفس الاهمية من حيث الموقع والظروف السياسية. وعندما أصبحت مسقط محطة تبشيرية رسمية تحول الاهتمام إلى منطقة جديدة. وفي اطار سياستهم لنشر عملهم التبشيري في جميع انحاء الخليج وجد المبشرون أن الكويت هي المكان المناسب لمحطتهم الجديدة.

افتتاح محطة الكويت للعمل التبشيري :

تقع الكويت في الجانب الشمالي الغربي من رأس الخليج العربي وقد كتب أرنولد ويلسون يقول عن أهميتها: "إن المزايا الاستراتيجية والتجارية لموقعها، وقربها من مدخل دجلة والفرات، واتصالها الوثيق بمملكة ابن سعود في وسط الجزيرة، وكونها تسمح بالعبور اليها بسهولة كل هذه الامور تجعل موقع الكويت ذو أهمية خاصة".

وقد سبق أن قام المبشرون بزيارة للكويت سنة 1900 وزاروها للمرة الثانية في 1903 عندما فتحوا فيها مكتبة للكتاب المقدس، ولكن الشيخ مبارك حاكم الكويت في ذلك الوقت رفض إن يسمح لهم باقامة المكتبة أو أية منشأة تبشيرية أخرى في البلاد وأمرهم أن يغلقوا المكتبة وأن يغادروا في الحال. ومن الطبيعي ان يستغرب المبشرون من الشيخ هذا القرار، اذ لم يسبق أن حدث معهم مثل ذلك الاجراء في غيرها من المحطات بعد أن يبدأوا ممارسة نشاطهم فعلا. ولم يتمكنوا طبعاً من الدخول في جدل مع الحاكم لاسباب متعددة: أولها: إن المبشرين قد افتتحوا مكتبة الكتاب المقدس بدون اذن رسمي. وثانيها: انهم كانوا في المرحلة الاولى من عملهم التبشيري ولهذا فان أوضاعهم لم تكن قد وصلت درجة من الاستقرار تمكنهم من مواجهة مثل هذه الصعوبة وثالثها: إنه كان من الصعب

عليهم المجادلة في مجتمع متمسك بدينه ويستطيع افراده وقياداته الدينية أن يضغطوا على حاكمهم. وكان رد الفعل الأول للمبشرين على هذا الموقف هو ارسال رسالة إلى المعتمد البريطاني في الكويت وممارسة نشاطهم فيها وقد أرسلت هذه الرسالة في السابع عشر من أيلول (سبتمبر) سنة 1904 عن طريق المسؤول عن مكتبة الكتاب المقدس التابعة للإرسالية يطلبون المعونة من أجل التفاهم مع الحاكم في هذا الأمر: ونص الرسالة كما يلي:

"17 أغسطس 1904

حضرة صاحب السعادة الكابتن نوكس Knox اقدم لكم تحياتي واحترامي. وأرجب بأن أعلمكم بأنه قد مضى على وجودنا (أي المبشرين) في الكويت ستة أشهر وبترخيص من الشيخ مبارك. وكنا قد تقدمنا بعرض للمجيء من قبل وكان الشيخ على علم تام بطبيعة عملنا ولكنه أمرني منذ يومين بمغادرة البلاد، وأنا لا أعلم حتى الآن سبب هذا القرار، ونحن بانتظار معونتكم.

مع جزيل شكرنا.

مسؤول مكتبة الكتاب المقدس في الكويت برئاسة السيد صموئيل زويمر في البحرين".

والواقع أن المعارضة الرسمية للنشاط التبشيري في الكويت استمرت حتى سنة 1910 عندما طلب الشيخ مبارك أثناء زيارته للبصرة من الدكتور بينيت Binitt أحد قادة الإرسالية العربية المجيء إلى الكويت لمعالجة ابنته. ولدى نجاح الدكتور Binitt في معالجتها طلب منه الشيخ مبارك البقاء في الكويت. وممارسة الطب فيها. فاستشار المبشرون حاكم الكويت بشأن مشروعهم لافتتاح مستشفى في الكويت فوافق الشيخ على الفكرة، ولكن العديد من الرجال البارزين عارضوها لاعتقادهم بأن الخدمات الطبية قد يكون لها تأثير ديني على الناس لأنهم كانوا على علم بما حدث في البحرين فقد بدأ المبشرون نشاطهم هناك بتقديم الخدمات الطبية ثم انتقلوا إلى النشاط الديني. وقد قاوم الشيخ هذه المعارضة لاقتناعه بأن المستشفى سيوفر الفائدة لعائلته ولشعبه، وبخاصة بعد العملية الناجحة التي أجراها الدكتور بينيت على عين ابنته، بالإضافة إلى قناعته بأن المبشرين لن يستطيعوا التأثير على شعبه دينيا.

غادر الدكتور بينيت الكويت إلى البصرة وبعد شهر من مغادرته أرسل الشيخ مبارك يستدعيه لمزاولة الطب في الكويت. وعندما عاد مع عدد قليل من مساعدة منحه الشيخ منزلا كبيرا كان يملكه ابن أخيه تحت تصرفهم وكان المنزل قريبا من قصره، ربما لرغبته بأن يكون نشاط المبشرين تحت مراقبته الشخصية، أو لأنه كان يعتقد بأن قريتهم من قصره سيكون نافعا إذا احتاج إلى معونتهم الطبية لنفسه أو لعائلته.

ومنذ ذلك التاريخ استمر العمل التبشيري في الكويت بدون انقطاع وكان قد بدأ بشكل بسيط ومحدود، ولم يلبث أن أخذ بالنمو تدريجيا. والواقع أن تأسيس فرع الإرسالية العربية في الكويت بدأ عندما طلب المبشرون من الحاكم أن يسمح لهم بشراء قطعة من الأرض في غرب مدينة الكويت بثمن معقول ليقيموا عليها الابنية اللازمة لأعضاء الإرسالية على غرار محطتهم في البحرين والتي كانت المحطة الثانية من حيث الأهمية للعمليات التبشيرية في المنطقة بعد محطة البصرة. ومنذ البداية كان من الواضح أن الشيخ مبارك كان يرغب بقبول عروض الدكتور بينيت

لاقتناعه بأن هذا الأمر لن يولد أية تعقيدات سياسية في حين أنه سيضمن لنفسه ولأهله عناية طبية حديثة ومستقلة.

وقد تعهد المبشرون للسلطة البريطانية في المنطقة على النحو التالي:

الإرسالية العربية

الكنيسة الإصلاحية في أمريكا

تعهد مع الحكومة البريطانية

18 نوفمبر 1910

نحن الموقعين أدناه المديرين للإرسالية العربية في الخليج (الفارسي) لإرسالية الكنيسة الإصلاحية الهولندية في الجزيرة العربية اعترافاً منا بالوضع الخاص للحكومة البريطانية في الكويت نتعهد هنا أنه في حال حصولنا من الشيخ مبارك بموافقة الحكومة البريطانية على قطعة أرض في الكويت سواء عن طريق الشراء أو الإيجار لإنشاء مركز دائم لإرساليتنا لممارسة نشاطنا فاننا سنعمل على تذليل الصعوبات الصغيرة التي قد تنشأ من وقت لآخر بالاتصال بالشيخ مباشرة وفي حال عدم تمكننا من حل خلافاتنا بهذه الطريقة فاننا سنلجأ إلى تحكيم المساعي الطيبة لمثل الحكومة البريطانية فقط، أو حال غيابه إلى المقيم البريطاني في الخليج (الفارسي). وستكون الإرسالية في الكويت مستقلة كلية عن فرع إرساليتنا في البصرة، ولن نسعى تحت أية ظروف على نحو مباشر أو غير مباشر الاتصال بالسلطات التركية أو موظفي القنصليات المفوضين إلى المناطق التركية".

التوقيع ي موريديك E.Moerdyk

د. داكسترا D.Dykstra

وبعد توقيع هذا التعهد من رؤساء الإرسالية العربية في البحرين أصبح من الممكن للمبشرين أن يستمروا في برنامجهم في الكويت محطتهم الجديدة، وحصلوا على موافقة الشيخ لشراء قطعة أرض لإقامة مستشفى وغيرها من الأبنية اللازمة في مدينة الكويت. وفي سنة 1913 وضع الحجر الأساسي لمستشفى الرجال وبعد عام أصبح المستشفى جاهزاً للعمل، وكان الدكتور بينيت قبل ذلك هو والدكتور هاريسون والدكتور ملري يقدمون الخدمات للأهالي في منزل أحد المواطنين. وهكذا فقد كان هذا المشروع خطوة إلى الأمام في تطور الخدمات الإنسانية للإرسالية في تلك المنطقة.

وقد توقفت هذه الخدمات خلال الحرب العالمية الأولى وعادت إلى ما كانت عليه بعد انتهاء الحرب. ثم ركزت الهيئة العاملة هناك على مستشفى السيدات، والذي افتتح في سنة 1920 تحت اسم مستشفى كيت أو لكوت التذكاري Kate V. S. Olcott Memorial Hospital وقد سمي باسم واحدة من اصدقاء الإرسالية المخلصين.

وكان أهم ما يميز عمل المبشرين هناك هو تصميمهم على العمل والاستمرار فيه رغم جميع المتاعب التي واجهتهم وبغض النظر عما إذا كان عملهم سيحقق شيئاً ذا قيمة أم لا فقد كانوا دوماً يتطلعون إلى الأمام بتفاؤل. وقد واجهوا

صعوبات في الكويت منذ بداية عملهم من حاكمها أولاً ثم من رجال الدين فيها وكانوا يتوقفون عن عملهم التبشيري عندما يواجهون موجة من المعارضة ويركزون على الخدمات الصحية ولكنهم يعودون إلى نشاطهم التبشيري عندما تخف حدة هذه المعارضة. وكانت لديهم المقدرة على تكيف أنفسهم مع جميع الظروف المحيطة بهم، وهذا يفسر قدرتهم على الاستمرار كل هذه الفترة الطويلة رغم عدم نجاح عملهم دينياً بالشكل الذي كانوا يريدونه أو يأملون منه. وفي عام 1967 قررت الإرسالية أن تتخلى عن عملها في الكويت بسبب التطور المحلي في المنطقة وبسبب الخلاف بين أعضاء الإرسالية وخاصة بين الدكتور سكر R. Scudder والدكتور فل Fell في عام 1964 إلى 1965 وكان لكل منهما رأي مختلف في طريقة التعامل مع الاهالي.

لكن يبدو أن السبب الحقيقي هو شعور الإرسالية العربية بعدم جدوى العمل في هذه المنطقة من الناحية التبشيرية. المحطات الفرعية:

أ . العمارة والناصية:

كان المبشرون يولون المحطات الفرعية اهتماماً خاصاً ويعتبرونها المحطات الرئيسية للمستقبل وفي نهاية عام 1895 بدأ العمل في محطة فرعية في العمارة على نهر دجلة وفي محطة أخرى حصلوا عليها في الناصية على نهر الفرات وفي عام 1897 افتتحوا مكتبة للكتاب المقدس في كل منهما وكلاهما كانا في جنوب العراق وكانت نشاطاتهم في العمارة في أول الأمر محدودة، وفي 1914 أصبحت فرعا لمحطة البصرة وفي الوقت نفسه كانوا قد أقاموا مستشفى في البصرة وأصبح المرضى من العمارة يأتونه إليه للعلاج وبخاصة عند افتتاح مستشفى لانسنج التذكاري هناك في 1911 أولاً برئاسة الدكتور وورل Worrall ثم الدكتور Arthur Binitt .

واستمر العمل التبشيري في النمو في هذه المحطات الفرعية إلى بداية الحرب العالمية الأولى عندما توقف العمل فيها بسبب العمليات الحربية التي عطلت النشاط التبشيري لبعض الوقت، لكن العمل عاد إلى طبيعته بعد الحرب عندما أعيد افتتاح هاتين المحطتين الفرعيتين في عام 1920 وكان العمل آنذاك تحت رعاية القس بيلكر Bilker وزوجته وبعدها تحت رعاية السيد والسيدة دايكسترا Dykstra لكن العمل بدأ في التدهور تدريجياً في الناصية وتوقف تماماً مع نهاية الحرب العالمية الثانية. والتفسير الوحيد لذلك هو أن الإرسالية بدأت بالتركيز على منطقة الخليج العربي هدفها الرئيسي، وكقاعدة تنطلق منها إلى بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية، يضاف إلى ذلك أن الأوضاع السياسية في العراق لم تكن تساعد على خلق مناخ ملائم لنشاطهم، ومع ذلك فإن عملهم في البصرة بقي مستمراً. ومن الجدير بالملاحظة أن الحركة الوطنية قد نمت هناك منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى، حيث قامت عدة انتفاضات ضد الوجود الاستعماري الغربي وأصبحت الدعوة للتحرك من النفوذ الغربي هو الأمر الذي يشغل أفكار المواطنين. واستمر العمل التبشيري في العمارة حتى عام 1959 عندما اعتبرت هذه المحطة مغلقة لان الإرسالية أجبرت على مغادرة المنطقة بعد ثورة 1958.

ب . افتتاح محطة مطرح الفرعية:



أصبحت مطرح وهي ميناء بحري قريب من مسقط محطة تابعة لمسقط عندما بدأ المبشرون بتقديم خدماتهم الطبية هناك سنة 1914 وافتتحوا مستشفى وعيادة للنساء في السنوات التالية. ولم يكن هدف الإرسالية عندما بدأت نشاطها في تلك المنطقة محصورا في المنطقة ذاتها فقد كان في نيته الوصول إلى المناطق الداخلية في عمان وشبه الجزيرة العربية. وكانت مطرح صالحة جدا للقيام بهذا الدور لكونها واقعة على الطريق المؤدية إلى تلك الجهات. وكانت الإرسالية تخطط للعمل بين سكان المناطق الداخلية مستخدمة مطرح قاعدة لها. ولكن الإرسالية أصيبت بالصدمة لرفض حاكم مسقط بالسماح للإرسالية بالعمل في تلك الانحاء، ونتيجة لذلك وجدت الإرسالية نفسها في موقف حرج، والذي كان تهديدا في الواقع لجميع أعمال الإرسالية التبشيرية في عمان. ولكن تدخل الحكومة الأمريكية عن طريق قنصليتها في مسقط وضع حدا لهذا النزاع وانتهى بالسماح للإرسالية بالبقاء ومزاولة نشاطها. وسنأتي على ذكر التفاصيل المتعلقة بهذا النزاع في الفصل الخاص بالنشاط السياسي وقد أدى هذا الموقف إلى التزام الإرسالية جانب الحذر في أنشطتها والتركيز على تقديم الخدمات الطبية فقط.

وبعد فترة طويلة من العمل في تلك المنطقة قامت الإرسالية ببناء مستشفى جديد في سنة 1934 وقد بنى مسكن الطبيب في نفس الوقت وافتتح مستشفى شارون تومس للأمراض المعدية في عام 1948 وأضيف إليه مبنى آخر لعلاج المصابين بالجذام.

وبعد انتهاء جميع الجهود الأولية للإرسالية لفتح منطقة الخليج أمام التبشير وبناء محطاتها الرئيسية والفرعية، بدأ المبشرون عملهم على نحو جاد وفعال ابتداء من العقد الثاني من بدء عملياتهم في هذه المنطقة، أي منذ بداية هذا القرن.

#### ج . محاولة فتح قطر:

وكانت قطر واحدة من المناطق التي استأثرت باهتمام الإرسالية وتقع قطر على ساحل الخليج العربي غير بعيدة عن البحرين. ومن الناحية الطبيعية تعتبر امتداداً لصحراء شبه الجزيرة في الخليج. وقد قام مبشرو الإرسالية العربية بزيارة المنطقة عدة مرات قبل أن يحصلوا على إذن بالسماح لهم بمزاولة العمل هناك. وهم القس جيريت بنينجز

Cornelia Delenberg Harri- son والدكاترة هاريسون وديم وتومس والآنسة كورنيليا بنبرج Dame, Storm, Thoms and Miss في عام 1945 ذهب القس ج فان بيرسم G. Van Peursem والدكتور و. ه . ستورم W.H.Storm في رحلة طبية تبشيرية إلى قطر. وقد طلب منهم القيام بفحص ضغط دم الحاكم في قصره وفي خلال تلك الزيارة طلب الشيخ منهم أن يأتوا إلى بلده لافتتاح مستشفى وبعض العيادات الطبية في مشيخته ووعدهم بأنه سيبنى لهم مستشفى ووجدوا في هذا الأمر فرصة جيدة لافتتاح فرع لهم في تلك المنطقة لتكون محطة فرعية تابعة لمحطتهم في البحرين. وطلب منهم الشيخ وضع تصميم للمستشفى ووعد أن يبدأ العمل فيه بالحال، وعند الانتهاء من البناء سيعهد به اليهم لإدارته.

وفي خريف عام 1947 أصبح المستشفى جاهزا للعمل. وجاء الدكتور ستورم وزوجته مع عدد من أعضاء الهيئة الطبية التي تعمل في مستشفى ماسون التذكاري في البحرين إلى قطر في العشرين من شهر تشرين ثاني (نوفمبر) لتجهيز المستشفى واعداده للعمل. ولكن الخدمة الطبية في هذه المنطقة لم يكتب لها أن تستمر طويلا ففي عام 1952 اضطرت الإرسالية إلى التوقف عن العمل في قطر بسبب الصعوبات المتعلقة بتأمين الهيئة الطبية، حيث تم ارجاع المستشفى إلى الحكومة القطرية. وهذا هو نفس ما حصل عندما حاولت الإرسالية افتتاح فرع لها في الزبير في جنوب العراق، فسرعان ما تخلت عن عملها هناك للسبب نفسه وهو النقص في أعضاء الهيئة الطبية. وعلى أية حال فإن الرحلات إلى قطر لم تنقطع وبقي هناك بعض النشاط الطبي والتبشيري ولكن هذا النشاط لم يؤد إلى فتح هذه المناطق امام التبشير أو اقامة محطات رئيسية أو فرعية هناك.

علاقة الإرسالية بغيرها من الارساليات العاملة في المنطقة:

كانت الإرسالية العربية الأمريكية هي أكبر المؤسسات المسيحية العاملة في المنطقة ولكنها لم تكن الوحيدة إذ كان هناك اربع ارساليات أخرى تعمل. وكان للإرسالية العربية نوع من العلاقات مع كل من هذه الارساليات. وأول هذه الارساليات كان إرسالية كيث فولكنر Keath Falconer في عدن والتي كانت قائمة قبل أن تبدأ الإرسالية العربية نشاطاتها في منطقة الخليج بعدة سنوات. وقد حصلت الإرسالية العربية على معونة كبيرة من هذه الارساليات. والارسالية الثانية هي الإرسالية المتحدة في العراق والتي قدمت للإرسالية العربية أيضا معونة قيمة في سنواتها الاولى في العراق وفي سنواتها الأخيرة أيضاً عندما سلمت الإرسالية العربية أعمالها إليها بعد أن اضطرت لمغادرة المنطقة بعد ثورة 1958. وقبل الانتقال من هذا الموضوع لا بد أن نتحدث عن نشاط الارساليات في العراق منذ انهيار الكنيسة النسطورية في الشرق في القرن الخامس عشر أصبح السكان المسيحيون في العراق في ثلاثة مراكز: الموصل في الشمال وبغداد في الوسط والبصرة في الجنوب، وبعض هؤلاء المسيحيين من النسطوريين الاصليين والبعض الآخر من المبشرين الاوربيين الذين جاءوا إلى العراق فيما بعد، وبشكل رئيسي من جمعية الكنيسة التبشيرية C.M.S.<sup>1</sup> وقد اصبحوا جميعا تحت النفوذ البريطاني بعد الحرب العالمية الاولى إذ إن جميع البلاد أصبحت تخضع للحكم البريطاني.

وكانت الجماعة النسطورية في العراق قائمة على النظام القبلي تحت قيادة رئيس المنطقة وكان جميع الزعماء يدينون له بالولاء في الشؤون الدينية والمدنية، اما في المناطق الكردية في شمال البلاد فإن النسطوريين كانوا يخضعون للزعيم التركي (الأمير) وعندما بدأت الصراعات السياسية في العراق بعد الحرب العالمية الاولى هرب النسطوريين ونفي البطريك النسطوري من العراق في عام 1939. وبالرغم مما حدث للنسطوريين ولوجود النفوذ الغربي فقد بدأ النشاط التبشيري هناك والذي أدى إلى ازدياد عدد المسيحيين. ومن أهم الارساليات التي عملت هناك واكثرها نفوذا هي جمعية الكنيسة التبشيرية C.M.S. وقد بدأت هذه الإرسالية عملياتها عند تثبيت الحكم البريطاني

1. بدأت هذه الإرسالية عملياتها في مالطة في عام 1815 ثم نقلتها إلى بيروت وغيرها من الأماكن في شرقي البحر الأبيض المتوسط فيما بعد.

لنفوذه العسكري والسياسي في المنطقة. ولم يكن هذا هو الحال في العراق فقط بل في كثير من المناطق في الشرق الواقعة تحت النفوذ البريطاني نذكر منها عدن على سبيل المثال وكانت الإرسالية تلعب دورا سياسيا في المنطقة بسبب العلاقات التي تربطها بالسلطات البريطانية بالإضافة إلى عملها التبشيري.

جاء المبشرون الأمريكيون إلى المنطقة في نهاية القرن التاسع عشر وكانوا يرجون أن تدعم الكنيسة النسطورية جهودهم التبشيرية. وقد قامت جمعية الكنيسة التبشيرية بتقديم العون لهم في عملهم لأن الإرساليتين كانتا مؤسستين بروتستانتيتين، وقد حدث هذا في العراق وفي عدن حيث بدأوا التعاون بمساعدة الأميركيين بدراسة اللغة العربية وطباعة منشوراتهم.

ويقول عبد اللطيف الطيباوي بهذا الخصوص:

"نظرا إلى أن المطبعة الأمريكية لم تكن قد بدأت الطباعة باللغة العربية فقد عين فريس Faris في مطبعة جمعية الكنيسة التبشيرية كمعاون عام في القسم العربي، وقد ذكر بالتحديد أنه قد انتج لجمعية الكنيسة التبشيرية تفسيرا للأمثال وربما يكون قد ساعد سمث Smith وغيره من أعضاء جمعية الكنيسة التبشيرية وبخاصة الأعضاء البارزين مثل الاسقف فرنش French والجنرال هيغ Haig الطريق أمام الإرسالية العربية للعمل في منطقة الخليج العربي.

وآخر هذه الإرساليات هي الإرسالية الانجيلية المتحدة والتي يقودها الدكتور كنيدي Kenneyh في واحة البريمي في أبو ظبي والتي كان بينها وبين الإرسالية الأمريكية ارتباط تاريخي مع أن الروابط لم تكن منتظمة عبرالسنين، وكانت لجنتها أعضاء في الإرسالية العربية وقد انفصلت عنها لأن لها رأيها الخاص في التبشير بين العرب وقد لخص القس لويس سكدر الابن رأيها فيما يلي:

"إن العمل التبشيري يجب أن يتوجه بشكل مباشر للتأثير على الناس من خلال جميع مؤسسات الإرسالية وقد كانوا يعتقدون على سبيل المثال أن المريض لا يجب أن يترك المستشفى دون التأثير على عقيدته الدينية".

ويبدو أن هذه الإرسالية لم تستطع تحقيق اية نتيجة ايجابية باتباعها هذه السياسة، وقد قابل مؤلف هذا البحث القس يونغ Rev. Young وهو أحد أعضاء ارسالية التبشير الانجيلي المتحدة ولم يلاحظ من مناقشة معه أن هذا هو سبب الانفصال بين ارساليته وبين الإرسالية العربية، ويبدو أن هناك أسباب أخرى لا تزال مجهولة حتى الآن. والارسالية الرابعة هي "الكنيسة المشيخية" وكانت هذه الإرسالية تعمل في الشرق في لبنان وفارس قبل الإرسالية العربية ولها صلات جيدة مع الإرسالية العربية.

نهاية الإرسالية العربية:

بعد خمس وثمانين سنة من النشاط المتواصل للإرسالية العربية في الخليج العربي اتخذ مؤتمر الكنيسة الاصلاحية المنعقد في شهر آذار (مارس) في سنة 1973 قرارا بوضع حد لعمل الارسالية العربية الأمريكية والمؤسسات التابعة لها. ومنذ ذلك التاريخ والارسالية مغلقة رسميا وصارت كل واحدة من مؤسساتها تدار محليا، وأصبحت علاقتها بالكنسية الاصلاحية مجرد علاقة أدبية، ولم تعد الكنسية الام مسؤولة رسميا عن تمويلها وقد أحزن هذا القرار

المبشرين العاملين في الميدان، ولكن يبدو انه اتخذ لقناعة الكنسية الأم بعدم جدوى الاستمرار بالعمل في هذه المنطقة، ولم تذكر الكنيسة الاصلاحية علنا السبب الذي دعاها لاتخاذ هذا القرار، ونعتقد أن الاسباب المحتملة هي الآتية:

أ . شعور الكنيسة الاصلاحية بان تقديم الخدمات الطبية والتعليمية ليس من واجبها وأن واجبها هو القيام بمهمتها الدينية الأساسية عن طريق مساعدة الكنائس المحلية في نشاطها الديني.

ب . لم يحقق استخدام تلك الأساليب في العمل التبشيري في المنطقة الأهداف المرجوة خلال هذه المدة الطويلة من عمل الإرسالية في نظرهم.

ج . التطور السريع الذي حدث في المنطقة في العشرين سنة الأخيرة جعل من العسير على مؤسسات الإرسالية أن تنافس مستشفيات الحكومات المحلية ومدارسها، وبما أن هذه الخدمات قد توفرت هناك فلم يعد هناك مبرر للبقاء مدة أطول.

وبعد هذا التطور الخطير في سياسة الكنيسة الأم تحول أعضاء الهيئات العاملة في الإرسالية إلى مؤسسات الحكومة في الكويت ثم في مسقط. أما الحال في البحرين فقد كان مختلفا ولا تزال مؤسسات الإرسالية تعمل والعلاقة بينها وبين الكنيسة الأم أوثق مما هي عليه في المناطق الأخرى.

وهذه هي قصة الإرسالية العربية منذ مولدها ووصولها إلى ميدان العمل وافتتاح المحطات الرئيسية والفرعية والصعوبات التي لاقتها. وقد أصبح من الممكن الآن مناقشة نشاطها مبتدئين بالخدمات الطبية.

في الحقيقة عند افتتاح المحطة الرئيسية أو الفرعية، كانت الخدمات الطبية أهم جزء في عمل الإرسالية، لأن هذا النوع من النشاط في هذه المنطقة وبين هؤلاء الناس في ذلك الوقت هو المجال الوحيد الذي يبرر العمل التبشيري، والسبب الوحيد الذي يسمح لهم بالبقاء والعمل والاستمرار. وستكون الخدمات الطبية هي موضوع الفصل التالي.

\*\*\*\*\*

### الفصل الثالث

#### الخدمة الطبية كوسيلة للتبشير

أهميتها:

كانت الخدمة الطبية كوسيلة للتبشير تحظى دوما بالاولوية في مهمات المبشرين، وقد لعبت دوما الدور الاكبر بين أنشطة الإرسالية الاجتماعية . وكان تقديم مثل هذه الخدمة جزء من الخلق المسيحي الذي يدعو لمساعدة الناس وشفائهم. وقد قال الدكتور/ بننجز Pennings في معرض اجابته على سؤال للباحث عن السبب الذي يدعو الإرسالية لاختيار هذه الوسيلة طريقا للتبشير.

"ومن السهل معرفة السبب بأن المسيح كان معلما ومداويا، وفي الواقع كان طبيبا، إن ما نفعله هو تأثر خطاه".

إن المداواة في المسيحية نشاط ديني عميق الجذور تبدأ مع بداية معجزات السيد المسيح الذي شفى المرضى. لكن في الحقيقة أن المسيح لم يكن طبيباً أو مداوياً بالمعنى الذي نألفه في المستشفيات. فهو لم يستخدم أي نوع من الدواء لشفاء الناس. إن ما فعله المسيح في هذا الميدان هو القيام بالمعجزات.

إن الأولوية التي حظي بها هذا المدخل والاسلوب تعتمد على اشباع حاجات الاهالي الملحة إلى العلاج الطبي. ولم يكن مجتمع الخليج في ذلك الحين ينعم بالرعاية الطبية الحديثة والعلاج الوحيد المتوفر في تلك الايام هو العلاج أو الطب الشعبي، أضف إلى ذلك أن العلاج الطبي هو أكثر الوسائل قرباً إلى النفوس، فقد كان مدخلا وأسلوباً إنسانياً يحظى بتقدير الشعب العربي ويقف حائلاً امام ردود الفعل السلبية سواء كانت دوافعها دينية أم سياسية، لذلك فقد كان افضل طريق لخلق جو اجتماعي ودي مع الناس. وقد ذكر هـ. ستورم H.Storm احد قادة الإرسالية بقوله: "لقد ثبت أن العمل الطبي هو مفتاح القلوب المغلقة ووسيلة لتوثيق عرى الصداقة واداة لتحطيم المعارضة".

لقد كان المبشرون يؤكدون على هذا المدخل كوسيلة رئيسية للتبشير، واسلوب لكسب قلوب الاهالي وخلق جمهور متعاطف معهم، والأهم من ذلك كله تهيئة الفرصة للتبشير بالانجيل وقد ذهب صموئيل زويمر إلى القول "إن جميع العاملين في ميدان التبشير في الجزيرة العربية متفقون على أن الطبيب القدير والجراح الماهر يحمل جوازاً يفتح الأبواب المقفلة، ويغزو القلوب مهما كانت عنيدة. إن المستشفيات في الجزيرة العربية هي مكان تلنقي فيه الرحمة بالخلق ويتعانق فيه الصلاح والسلام"

إن للمدخل الطبي مزايا عدة اهمها الاثر النفسي الذي يتركه في المجتمع وبالإضافة إلى حاجة اهالي البلاد الماسة اليه فقد كانوا أيضاً ينظرون إلى الطبيب القدير نظرتهم إلى انسان متفوق يستخدم احدث الوسائل الطبية التي كانت ارقى بكثير من الوسائل التي يملكها المعالجون المحليون. لذا فقد كان الاهالي يرغبون دائماً الالتصاق به وطلب النصح والمشورة منه. ومن يكون على اية حال احق بالثقة من مداو قدير؟ كما ان المدخل الطبي يجد قبولا لدى العربي الذي يحمل اعجابا كبيرا بالخدمة الطبية وقد أكد أحد الرحالة وهو وندل فيلبس Phillips Wendell على ذلك بقوله:

"في الواقع أن لدى العرب شغف كبير بالطب والعلاج الطبي".

وهذا الشغف نفسه هو الذي جعل العرب يساهمون في تقدم الطب في الماضي عن طريق الاطباء العرب المشاهير من أمثال ابن سينا والرازي.

ولكن الاغراق في استخدام الخدمات الطبية كمدخل للتبشير على أية حال لم يحظ دوماً بالتشجيع من القيادات التبشيرية، وقد نقد البعض على انه مغامرة باهظة الكلفة يمكن أن تؤدي إلى انحراف كبير عن اهداف التبشير الاساسية، وهي التبشير بالانجيل ونشر الايمان المسيحي. ويرى البعض أن الاغراق في الخدمات الطبية يؤدي إلى تورط كبير في ادارة المستشفيات والعيادات المحلية ويتطلب مجهودات جبارة، وهذه المجهودات تستغرق وقتاً وتستهلك طاقة مما يعني الحد من مجهودات المبشر الرامية إلى التبشير بالانجيل. وقد بلغ الأمر بالدكتور بول

هارسون P.Harrison وهو احد كبار رجال الإرسالية سموئيل زويمر S.Zwemer أن ذكر: "إن المبشر لا يكتفي بتطوير المستشفيات حتى ولو غطت خدمات جميع اطراف الاقليم؛ إن الهدف من وجودنا في الجزيرة العربية هو أن نجعل من الرجال والنساء مسيحيين"

وهذا الخلاف يبين أحد المفاهيم التبشيرية الاساسية وهو أن الانخراط في الخدمات الطبية لا يجب أن يكون غاية في حد ذاته بل وسيلة لغاية أسمى.

وقد أكد القس جيرت د فان برسيوم Gerrit D.Van Peraeum على ذلك: "إن المبشر الطبيب لا يجب ولا يمكن أن يتخلى عن العمل التبشيري النشط فالطب ليس هو غاية الطبيب في حقل العمل التبشيري... بل يجب أن يتضمن العمل التبشيري بالإضافة إلى غيره من أعمال."

وهذا الخلاف يشير أيضاً إلى الخوف الذي يساور بعض كبار قادة التبشير من أن الاغراق في النشاط الطبي قد يؤدي إلى موقف تتحول فيه الوسائل إلى غايات وتفقد بذلك الغرض الاساسي منها كوسائل إلى غاية رئيسية وهي التبشير بالانجيل وقد عبر الدكتور/ برسيوم عن ذلك بالقول: "أرجو أن لا يعتقد أحد بأنني أقلل من شأن الجوانب الاخرى لنشاطنا عندما أقول إنها ليست غايات في ذاتها ولكنها وسائل نبيلة وتستحق الاعجاب لتحقيق غاية لقد كان الرب ينتقل فعل الخير ولكنه نادرا ما كان يبرئ المرضى أو يحيي الموتى الا عندما يعود ذلك بالنفع على الجانب الروحي"

ومن هنا يتبين أن التوازن بين الوسيلة والغاية هو نقطة الخلاف وهذا الخلاف يبين بوضوح أن الخدمة الطبية كانت دوما وسيلة تبشيرية وليست خدمة طبية مجردة. ومهما يكن فإن الفكرة التي تقول بأن الخدمة الطبية يجب أن لا تتجاوز الحد الضروري لتكون وسيلة وليست غاية هي ايضا موضوع للخلاف، وقد رفض القس لويس سكر الابن الموقف الذي تنادي به بعض الهيئات التبشيرية والذي يقول بأن المستشفيات والمدارس يجب أن تستخدم كشارك لايقاع المسلمين وتحويلهم إلى مسيحيين. وفي رأي القس سكر أن على هذه العناصر الاعتراف بالفشل لأن دعواهم لا يمكن أن تقبل في أي محكمة دينية، وفي مقابلة له مع الكاتب دافع عن موقف الإرسالية نحو الخدمة الطبية بقوله إنها كانت تعتبر خدمة انسانية أكثر منها مدخلا تبشيريا.

وحول ضرورة التوازن بين الهدف التبشيري والنشاط الطبي قالت دورثي فان إيس D.Van Ess " الاغراء بتبني خط أكثر فاعلية واوسع انتشارا من الامور التي تدرس بعناية لتحقيق التوازن مع التأكيد على التبشير بقوله: (لا بد أن السيد المسيح قد ترك بعض المرضى بدون شفاء ليقوم بعمل ما يعتقد أنه أهم وترك هؤلاء ليقوم اتباعه بمهمة علاجهم).

إن العمل في المستشفيات مكرس لجعل من يأتيها من المرضى المسلمين يحسون بوجود حقيقي للسيد المسيح. إنهم يأتون للتحرر من الآلام الجسدية أو العجز ولكنهم يجب أن يسمعو عن المسيح الشافي الذي لا يشفي فقط من

الام الجسد بل من عذاب الروح أيضاً. اننا لسنا هنا لنجعل من الإرسالية مؤسسة محترمة ومفيدة في خدماتها الاجتماعية فقط ولكن لنقيم كنيسة السيد المسيح في الجزيرة العربية حتى ولو عن طريق الخدمة الطبية." ويعتقد المبشرون بأن المستشفيات لا تنفصل عن الكنيسة وليست أهم مها بل يجب أن تكون امتدادا لها والمبشرون البروتستانتيون سعوا لاستخدام الوسائل الطبية لكسب غير المسيحيين والنقطة الأساسية في الجدل هي أن اطباء الإرسالية يعتقدون بأنهم يؤدون واجبهم الديني عن طريق الخدمات الطبية، لأن هذا النوع من النشاط هو جزء من الخلق المسيحي واقتداء بسنة المسيح كشاف للأمراض، ويعتقد ف. بارني F.Barney بأن المدخل الطبي في شبه الجزيرة العربية كان هو العمل الوحيد الممكن للوصول إلى الناس والتأثير عليهم.

ويذكر الدكتور/ س. ت تومس S.T. Thoms بأن طموحهم كان بالإضافة إلى شفاء اجساد المرضى العرب اعطائهم شيئا أفضل لحاجاتهم الروحية وقد عبر الدكتور/ هارسون عن ذلك بقوله "اننا نأمل أن يكون المستشفى المزدهم والقذر والسعيد وسيلة افضل لنشر الانجيل من مستشفى نظيف وخال من الناس"

والدكتور/ هارسون يتفق مع الدكتور/ تومس من أن المستشفى يجب أن يكون مكانا للتبشير بالانجيل والشيء والذي كان يقلق المبشرين هو أن بعض أطباء الإرسالية كانوا يعطون العلاج الطبي أهمية أكبر والذي من شأنه أن يؤدي إلى صراع بين الكنيسة والمستشفى وهذا حتما سيؤثر على العمل التبشيري بأكمله.

وقد تحول هذا الجدل إلى حقيقة على يدي أحد اطباء الإرسالية في النسبة الاولى من بدء نشاطهم في البصرة. ويمكن اعتبار عام 1892 بداية النشاط الطبي الحديث على يد الإرسالية في البصرة ولكن هذه البداية كانت مخيبة للامام والسبب ليس من رد فعل المواطنين بل من أول طبيب للإرسالية يبدأ العمل في هذه المنطقة وهو الدكتور/

ريجز Dr. Riggs الذي ارسله مجلس أمناء الإرسالية في الولايات المتحدة في كانون الثاني 1892 إلى البصرة. لقد وصف هذا الطبيب من قبل صموئيل زويمر بأنه يحمل شهادات تثبت كفاءته كطبيب وأنه كان عضوا في الكنيسة التبشيرية. وبعد وصوله بفترة قصيرة أنهت الإرسالية خدمته وعاد إلى أمريكا، ولم يكن هناك أية علاقة بين فصله من العمل ومسلكه كطبيب فقد كان على درجة عالية من الكفاءة ولكن الفصل كان بسبب موقفه الديني وبخاصة عدم ايمانه بألوهية المسيح، ومن الطبيعي أن يؤدي ذلك اعادته إلى البلاد (بلاده) وقد عرض ماسون وبارني Mason

And Barney للمشكلة على النحو التالي:

"لقد ظهر أن أراءه المذهبية حول بعض الموضوعات الرئيسية مثل ألوهية المسيح وغيرها من أمور الايمان لم تكن تتفق مع أراء المسيحيين الانجيليين، كما أنه لم يكن على وفاق مع زملائه في العمل بخصوص أمور أخرى. أما صموئيل زويمر المنظر والقائد الاساسي للإرسالية فقد عرض إلى الشك في عقيدته الدينية بشيء من التحديد حيث قال: "وبعد وصوله (Dr, riggs) إلى ميدان العمل بقليل أعلن عدم ايمانه بألوهية المسيح"

ولسوء الحظ فاننا لا نعرف الكثير عن خلفية الدكتور/ ريجز Dr. Riggs اذ لم يتم أحد بتحري ماضية في العمل أو معتقداته أو شخصيته. وما من شك أنه كان مصدرا لخيبة أمل الإرسالية لأن الكتاب الثلاثة الذين أتوا على ذكره وهم

. زويمر . وماسون . وبارني لم يذكروا عنه سوى القليل، ويرجع ذلك إلى شعور الإرسالية بالضيق لسوء اختيارها، وعدم رغبتها بتشجيع غيره من الأطباء على تبني مثل هذا السلوك، وكانوا يرغبون في إغلاق هذا الفصل المؤسف من تاريخ الإرسالية. فالكتاب الثلاثة يعبرون عن إعجابهم الشخصي به ويذكرون الشهادات والكفاءة كطبيب وكرجل ذو صفات جذابة وشخصية فوق مستوى الشبهات ومهارة طبية عالية وفوق هذا كله إيمانه برسالته التبشيرية. بالإضافة على ذلك فإن التقرير الوحيد الذي كتبه الدكتور ريجز يشهد على قدرته وعلمه وروحه التعاونية، كما أن التقرير يشير أيضاً إلى شعبيته، فقد بلغ عدد مرضاه 980 مريضاً خلال المدة التي قضاها في العمل وهي ستة أشهر فقط لم يحدث بينهم سوى ثلاث حالات وفاة.

وقد أدى به حبه للاستطلاع أن يحاول التعرف على دين المرضى الذي كان يفترض أن يعمل على تنصيرهم. وقد حصل كاتب هذا البحث على تقرير كتبه مجلس الإرسالية في الولايات المتحدة يذكر فيه بأنهم قد تسلموا رسالة من الدكتور ريجز يذكر فيها بأنه ينوي أن يتخلى عن نشاطه التبشيري لأنه لا يؤمن بالوهية المسيح وإن المجلس قد عين ثلاثة من الرؤساء من بينهم الدكتور لانسنج لمعالجة الموضوع والتحقيق فيه. الأوضاع الصحية في المنطقة أثناء بدء الإرسالية لنشاطاتها:

كانت الأوضاع الصحية في المنطقة تدعو إلى اليأس وكان الجدري والحصبة والسعال الديكي والتراخوما والسل والأمراض المعوية والتناسلية والملاريا من الأمراض الشائعة. ولعل الموقع الجغرافي من العوامل الهامة . فالملايا كانت شائعة في البصرة والبحرين وعمان بسبب وجود البعوض الذي كان يكثر في المستنقعات. أما الكوليرا والطاعون فكانا نادرين ومع ذلك فقد كانا ينتشران أحيانا ويقضيان على أعداد كبيرة من السكان. وقد كانت بعض الأمراض تدخل المنطقة من الهند وشرق أفريقيا نظرا للعلاقة التجارية معها.

أما العمى وتشوهات الجسم كانت شائعة بسبب مرض الجدري والذي كان يقتل كثيرا من الاطفال أحيانا. وقد كانت حالات مرض السل تظهر في المناطق الساحلية. أما مرض الحارث فقد كان معروفا في المناطق الداخلية، لكن السرطان والنوبات القلبية فلم تكن معروفة. ربما نوع الغذاء والراحة النفسية لعبا دورا كبيرا في منعها.

أما الانفلوانزا فكانت شائعة في أشهر الشتاء كذلك أمراض الحصى في الكليتين كانت منتشرة أيضاً، وبالإضافة إلى هذه الأمراض الرئيسية كان هناك أخطار الوضع والولادة والأمراض الناشئة عن سوء الشروط الصحية والتي كانت تلعب دورا كبيرا في نسبة الوفاة الغالبة بين الاطفال وكان العلاج الطبي المعروف في الخليج العربي في ذلك الوقت عندما بدأت الإرسالية الأمريكية العربية عملها يعتمد على ما يعرف بين الأهالي "بالطب الشعبي" وأحيانا بالطب العربي

وهذا النوع من العلاج هو مزيج من الطب الجسدي والنفسي.

أما العلاج الجسدي فكان يعتمد على مزيج من الأدوية تؤخذ من الأعشاب الصحراوية. وعندما كان أحد افراد هذا المجتمع يصاب بالمرض لم يكن يلجأ إلى الراحة والعلاج منذ بداية المرض بل كان يستمر في عمله كالمعتاد إلى أن



يصبح عاجزا عن العمل تماماً . وهكذا يصبح المرض في حالة متقدمة ربما تكون عائلة المريض سببا في ذلك لأنها لم تكن تدرك أن مرض بسيطاً يمكن أن يتحول إلى مرض خطير في المستقبل القريب، هذا بالإضافة إلى أنها يمكن أن تكون بحاجة إلى جهده المتواصل نظرا للظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في المنطقة آنذاك. وفي ذلك الوقت لم يكن هناك تأمين صحي أو اجتماعي لمساعدة الناس. لقد كان المريض يستعمل الدواء المعد بشكل رئيسي من الأعشاب وأوراق الأشجار حيث كانت هذه الأعشاب تمزج مع بعضها عادة بطريقة تختلف من شخص إلى آخر حسب التقاليد المعروفة والمتعارف عليها وحسب الخبرة في اعداد هذا النوع من الدواء، ومن ثم يعطي العلاج للمريض عدة مرات لعدة أيام وفي الوقت ذاته لم يكن هناك اهتمام بالنظافة سواء في تحضير الدواء أو في نظافة المريض نفسه أو نظافة ملابسه وحتى الطبيب الشعبي نفسه لم يكن نظيفاً، ذلك كله كان بدون شك يؤدي إلى تفاقم المرض أو توليد امراض أخرى مما يهدد حياة المريض بالخطر. وفي حالة عدم تحسن صحته نتيجة لتعاطي الدواء كانوا يغيرون العلاج عدة مرات أي يخضعوا جسمه للتجارب إلى أن يجدوا علاجاً يعطي نتائج أفضل. ولم يكونوا يدركون طبعاً أن هذا يضر بالمريض نظراً لجهلهم، ولهذا لم يكن لهذا النوع من العلاج نتائج ايجابية الا نادراً، وما من شك أن بعض المرض كانوا يشفون أحياناً من مرضهم ولكن هذه الحالات كانت نادرة وقد ثبت في عصرنا الحاضر أن العلاج بالأعشاب مفيد، ولكن الصفات التي كانت تستعمل في تلك الايام كانت ملوثة وتحتوي مزيجاً من عناصر مختلفة كانت ربما تتفاعل ضد بعضها البعض وتحدث مضاعفات للمريض.

أما العلاج بالكي فقد كان شائعاً كذلك ويستخدم لعلاج كثير من أنواع الورم والحالات المستعصية والتي يصعب تشخيصها. وكان الأهالي يعتقدون أن نجاح الكي مضمون ولكن هذا يعتمد بشكل اساسي على مهارة المعالج، فيكوي الجسم بقطعة من الحديد المحمى في نار شديدة الحرارة، وكانت الفكرة من وراء الكي للقضاء على مصدر المرض بسرعة لكن ذلك يترك وراءه أحياناً بثرة متقيحة قد يطول علاجها وربما تسبب متاعب جديدة ولمدة من الزمن للمريض، في الحقيقة لقد كان أثر الصدمة بالكي وحدة كافياً لشفاء بعض المرضى.

وقد كانت طريقة العلاج بالكي مخيفة، فقد كان أقارب المريض واصدقاؤه يمسكون به بقوة من شدة الألم الذي يسببه الكي، وكان المريض في آخر الامر يترك بين يدي الله، وقد كانت نظرة الناس بأن الشفاء من عند الله لأنهم بحكم شعورهم الديني يجدون تعليلاً دينياً لكل شيء في حياتهم.

وكان العلاج النفسي الذي يعتمد على القراءة الدينية دوراً كبيراً في حياة الناس . وكانوا يشعرون بأن لهذا النوع من العلاج اثر بالغ في الشفاء، ولم يكن هناك فرق في نظرهم بين العلاج الجسدي والروحي وكثيراً ما كانوا يقومون بالاثنتين معاً. والعلاج النفسي على نوعين الأول ديني . والثاني خرافي وأنواع العلاج الديني كثيرة ومتنوعة . وأهمها استخدام سور من القرآن والاحاديث النبوية وسيلة للشفاء، وكان رجل الدين المحلي والذي يدعى "الملا" هو الطبيب بالإضافة إلى وظيفته الاساسية وهي التعليم كان يستدعى ليقراً آيات من القرآن على المريض وكان الناس يؤمنون بأن هذا العمل الدال على التقوى سيأتي بالتحسن المرغوب في صحة المريض وعلى الرغم من كل هذا فقد كانوا

يؤمنون أيضا بأنه لولا عناية الله لما شفى أحد من مرضه. وكان يدعم قدرة القرآن على الشفاء واعتقاداته والنوع الثاني من الطب النفسي يعتمد على الخرافات . واكثر هذه الأنواع شيوعا هو "الزار" والزار في الأصل عادة افريقية جلبها العرب عندما كانوا يتعاملون مع الافريقيين في النشاط التجاري قبل أن تخضع بلادهم لنفوذ الاستعمار الغربي. وكان يشرف على طقوس الزار رجل أو امرأة ممن يمتنون هذا العمل ويسعون لطرد الارواح الشريرة من جسد المريض.

وكانت العملية تبدأ بأن تدعو عائلة المريض في يوم معين لحضور حفلة الزار ومعظم اقارب المريض وأصدقائه في العادة يحضرون مثل هذه المناسبة، يحيطون بالمريض ويبدأ العراف أو العرافة العمل بتغطية المريض بملاءة داكنة في حين يصاحب هذه الطقوس رقصات خاصة ودقات معينة صاخبة على الدفوف واطلاق البخور ويبدأ العراف أو العرافة بتلاوة بعض العبارات الدينية وتهديد الأرواح الشريرة بضرب المريض بالعصا عدة مرات، وبعد فترة قصيرة من بدء هذه الطقوس تسأل العرافة أو العراف عن طلبات الأرواح الشريرة مقابل توقف الضرب إذا اجابت بسرعة، عندها يقول المريض أن الارواح تطلب أشياء معينة كالطعام أو الملابس أو زيارة أماكن خاصة فإذا رفضت الأرواح الكلام وصمت المريض فان العراف أو العرافة يقرر ما إذا كان المريض قد شفى أو انه لا زال بحاجة إلى جلسة زار أخرى أو أن حالته صعبة، وفي هذه الحالة ليس امامهم الا تسليم أمره لله. لقد كانت الأمراض آنذاك تعالج بالطب الشعبي ومعظم هذه العلاجات لم تكن تعود بأية فائدة، لكن المجتمع كان عاجزا عن الاتيان بوسائل أفضل للعلاج. هذه صورة عن الحالة الصحية التي كانت تعيشها منطقة الخليج العربي عندما بدأت الإرسالية نشاطاتها.

منجزات الإرسالية في ميدان الطباعة الأخيرة

أولا الخدمات الطبية في البصرة:

يعتبر عام 1891 بداية لقيام الخدمة الطبية في البصرة، وبالرغم من حاجة السكان الماسة لهذه الخدمة ، فان الإرسالية الأمريكية العربية واجهت عدة صعوبات في هذه المنطقة، وأهم هذه الصعوبات، جهل الناس في أهمية نشاطات الإرسالية الطبية خاصة في مراحلها الأولى. لقد كان الناس يترددون في قبول خدماتها في البداية ولكنهم مع ذلك أصبحوا أكثر تقبلا لها فيما بعد ثم تطورت العلاقة إلى التعاون إلى درجة التسابق للاستفادة من الخدمات الطبية التي وفرتها الإرسالية لهم، وأدت التجربة المحزنة مع الدكتور/ ريجز والتي سبق الحديث عنها إلى أن تحرم الإرسالية من طبيب ممتاز في مرحلة هامة من عملها وبقي النشاط الطبي يعتمد لمدة عام كامل على هيئة طبية غير مؤهلة وغير محترفة مهنة الطب تقوم بعلاج الأمراض البسيطة حتى تحافظ على استمرارية هذا النوع من النشاط ريثما تتمكن الإرسالية من ترتيب أوضاعها في هذا المجال وتوفر الاطباء القادرين على تحمل المسؤولية المزدوجة الإنسانية والدينية.

وعادت الخدمة الطبية بالفعل إلى طبيعتها عندما التحق الدكتور/ ج. ت. ويكوف J.T. Wyckoff في عام 1894 كعضو في الإرسالية في البصرة. وقام الطبيب المذكور بعلاج المرضى وفي نفس الوقت كان يتعلم اللغة العربية ويتعرف على أحوال الناس.

وفي منتصف عام 1894 تقريباً ازداد حجم العمل بشكل ملحوظ عندما انتشرت الحمى بالإضافة إلى الأمراض الأخرى التي اعتادت عليها المنطقة. وبحلول عام 1895 أصبح النشاط العلاجي المطلوب فوق طاقة طبيب واحد للقيام به مما أدى ذلك إلى انضمام الدكتور/ تومس Thoms إلى الهيئة الطبية التابعة للإرسالية في البصرة. وقد واجهت الإرسالية صعوبات جمة منها جهلها بأوضاع الناس الاجتماعية والمشكلة التي ترتبت على رحيل الدكتور/ ريجز ثم عدم وضوح الهدف التبشيري الذي تحمله نشاطات الإرسالية لذا كان عدد المرضى الذين يترددون على عيادات الإرسالية ضئيلاً في السنوات الأولى والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول رقم 3: 1

الديانة	عدد الحالات	الجنس	عدد الحالات	نوع المعالجة	عدد الحالات	نتيجة العلاج	العدد
مسلمون	12	رجال	146	أمراض باطنية	135	شفاء	192
مسيحيون	87	نساء	37	أمراض جراحة	33	تحسن	30
يهود	24	أطفال	42	أمراض عيون	34	موت	3
صابئة	2		.	أمراض أذن	3		.
	.			موت	1		
				مجاري بولية	3		
				ورم	1		
				أمراض أخرى	15		
المجموع	225		225		225		225

Source: Neglected, Arabia, 1895, p.7

يطلق اسم الصابئة على فرقتين دينيتين مختلفتين:

1. المندائيين: وهو مذهب يهودي - مسيحي وهم كتابيون من اتباع يوحنا المعمدان.

2. صابئة حران: وفئة من هؤلاء من الوثنيين.

وإذا تأملنا هذا الجدول نجد أن عدد الحالات المعالجة ضئيلة في مدينة يبلغ تعداد سكانها حوالي نصف مليون نسمة ولكن لذلك اسباب واضحة:

أولاً: إن الطب الشعبي أو الأهلي الذي اعتاد عليه الناس لفترة طويلة من الزمن أصبح جزءاً من حياتهم ذلك يعني أن القائمين على احلال الطب

